المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي

(دراسة تطبيقية على أشعار: حافظ ـ ناجي ـ شوشة)

✍ الدكتورة

منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي

مدرس أصول اللغة

في بكلية البنات الإسلامية بأسيوط ـ جامعة الأزهر

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي (دراسة تطبيقية على أشعار: حافظ ـ ناجي ـ شوشة)

تعدُّ اللغة من أهم الوسائل البشرية للتواصل والتفاهم، ولكونها كائنًا حيًا تتأثر بما يحيط بها من عوامل اجتماعية متعددة، وتصطبغ بصبغاتها المختلفة، والتي يعد من أهمها وأكثرها التصاقًا بالنفس البشرية المهنة التي يعمل بها كل فرد، و تأثير هذه المهنة في الاستعمالات اللغوية والتي تعد من أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في اللغة، فجاءت هذه الدراسة تحت عنوان (المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي دراسة تطبيقية على أشعار: حافظ ــ ناجي ــ شوشة) .

✍ الدكتورة
منى عبد الظاهر محمد سيد الشامي

Abstract

Professional Levels and their Impact on Language Uses in Light of Social Linguistics (Applied Study on Poetry: (Hafez Naji Shousha

Language is one of the most important human means of communication and understanding, and because it is a living being affected by the surrounding social factors of multiple, and dyed with different dyes, which is one of the most and most related to the human psyche profession of each individual, and the impact of this profession in the uses of language, The most important social factors affecting the language, this study came under the title (professional levels and their impact on the uses of language in the light of social linguistics applied study on poetry: Hafez Naji Shusha)

Dr.

Mona Abdel Zaher Mohamed Sayed El Shami

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالق البشر شعوبًا وقبائل، ليتعارفوا فمزج ألسنتهم ومايزها، والصلاة والسلام على من بعث بالحق فأسر القلوب والعقول، وجمع المختلف منها وألف بينهم، وعلى آله وصحابته والتابعين سنته والناطقين بوحيه ليوم الجمع المبين. **وبعد**،

فإن اللغة تعدُّ من أهم الوسائل البشرية للتواصل والتفاهم، ولكونها كائنًا حيًا تتأثر بما يحيط بها من عوامل اجتماعية متعددة، وتصطبغ بصبغاتها المختلفة، والتي يعد من أهمها وأكثرها التصاقًا بالنفس البشرية المهنة التي يعمل بها كل فرد، فتراه يتأثر بها في شتى جوانب حياته ولاسيما اللغة فهو يستخدم من الألفاظ والتراكيب ما يعبر في المقام الأول عن ثقافته المستمدة من مهنته وتلك الظاهرة تكررت بوضوح عند الأقدمين أثناء الحديث عن مجالات الخطاب والمواقف الحياتية كأمثال الجاحظ في البخلاء، والزمخشري في أساس البلاغة، والخوارزمي في مفاتيح العلوم وغيرهم ، والتي نستنتج منها مدي تأثير المهنة في الاستعمالات اللغوية والتي تعد من أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في اللغة، فجاءت دراستي تلك تحت عنوان (المستويات المهنية وأثرها في الاستعمالات اللغوية في ضوء علم اللغة الاجتماعي دراسة تطبيقية على أشعار: حافظ ــ ناجي ــ شوشة) وهي تبيّن مدى تأثر الشعراء بتلك الظاهرة ولا سيما شعراء العصر الحديث فبحثت عن شعراء تباينت مهنهم لنرى مدي تأثر الاستعمالات اللغوية في أشعارهم بالمستويات المهنية لهم فعقدت دراستي تلك على ثلاثة

شعراء تنوعت وظائفهم فمنهم الضابط (حافظ) ومنهم الطبيب (ناجي) ومنهم اللغوي (شوشة)؛ لنرى مدى تأثير كل مهنة من تلك المهن على نتاجهم الشعري؛ وذلك عن طريق بيان ما تفرد به إبراهيم ناجي من ألفاظ تستخدم في بيئته الطبية عن حافظ إبراهيم وبيئته العسكرية فكل واحد منهما نجد في ديوانه من الألفاظ ما لا توجد عند الثاني، مع بيان ما إذا كانت تلك الألفاظ تم استخدامها عند الآخر أم لا وبذلك يكون كل منهما معيارًا لتأثير المهنة في بيئة الآخر من ناحية الاستعمالات اللغوية؛ ثم جعلت من الشاعر الثالث ــ فاروق شوشة ــ حكمًا ثالثًا به نوضح مدى انتشار تلك الألفاظ ــ الطبية والعسكرية ــ في شعره الذي يمثل بيئته المهنية اللغوية ومن تلك المقارنة يمكننا إدراك مدى تأثير البيئة المهنية على الاستعمالات اللغوية.

وجدير بالذكر: أن ما أقصده بتعبير الألفاظ الطبية هنا ليست الألفاظ الطبية بمفهومها الأكاديمي، أي: المصطلحات الطبية التي يدرسها أهل تلك المهنة في الجامعات العلمية وداخل الكتب المتخصصة والمعاجم المبوبة لتلك المهنة، وإنما قصدت تلك الألفاظ التي يستخدمها الطبيب والمريض في معرض حديثهما في حجرات الفحص الطبي في المستشفيات والعيادات الطبية وغير ذلك من الأماكن التي يزاول فيها الطبيب مهنته؛ فتلك الأماكن تعج بمثل ألفاظ: الألم ــ السقم ــ الأنين ــ الوجع ــ الداء ــ العلة ــ الشفاء، وغير ذلك من الألفاظ التي سيأتي الحديث عنها في شعر إبراهيم ناجي. ولقد اعتمدت على المنهج الوصفي القائم على القراءة والاستقصاء لدواوين الشعراء الثلاثة وذلك بوصف وتحليل ما توصلت إليه القراءة في شعرهم في ضوء علم اللغة الاجتماعي، مع الاستعانة بالمنهج المقارن والمنهج المعياري.

لذا جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: تناولت فيها ماهية الموضوع، وأهميته، ومنهجه، وخطته، ومصادره

التمهيد: وجاء تحت عنوان: (علم اللغة الاجتماعي ــ المفهوم والنشأة والمجالات ــ نبذة مختصرة) تناولت فيه التعريف بعلم اللغة الاجتماعي، ونشأته، ومجالاته.

المبحث الأول: وجاء تحت عنوان (المستويات المهنية وأثرها في الاستعمال اللغوي) تحدثت فيه عن المراد باختلاف المستويات اللغوية لاختلاف المستويات المهنية وكيف يعد ذلك مجالًا من مجالات علم اللغة الاجتماعي.

ثم بعد هذا تأتي الدراسة التطبيقية وتضمنت أربعة مباحث: وفيها أثبت بالنماذج من خلال شعر الشعراء الثلاثة كيف أن المستوى المهني له تأثير على الاستعمالات اللغوية وكيف اختلفت الألفاظ والتراكيب والأغراض الشعرية تبعًا لاختلاف المهنة عند كل شاعر من الثلاثة محل التطبيق والدراسة وهم: حافظ إبراهيم، وإبراهيم ناجي، وفاروق شوشة وذلك بسرد بعض النماذج اللفظية والاسلوبية من أشعارهم التي تعكس مدى تأثير الحياة الاجتماعية المتمثلة في المهنة في قصائدهم، وخاصة في الأغراض الشعرية التي انفرد كل واحد منهم بها، والتي تعكس بصورة واضحة مدى تأثره بعمله الوظيفي في أثناء نظمه لشعره، وهي كما يلي:

المبحث الثاني: حافظ وأثر مهنة العسكرية في استعمالاته اللغوية.

المبحث الثالث: ناجي وأثر مهنة الطب في استعمالاته اللغوية.

المبحث الرابع: مقارنة بين عسكرية حافظ وطبية ناجي في الاستعمال اللغوي.

المبحث الخامس: مقارنة بين شعر حافظ وناجي وشعر شوشة في الاستعمال اللغوي.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

ولقد استعنت بمصادر متنوعة في تلك الدراسة منها اللغوي وهو ما تناول علم اللغة الاجتماعي، ومنها الأدبي وهو الدواوين الشعرية، والكتب الأدبية التي تناولت أثر المهنة في التعبيرات اللغوية عند العرب قديمًا، وغير ذلك من المصادر والمراجع التي سيأتي ذكرها في فهرسها.

واسأل الخالق ــ جل وعلا ــ أن يوفقني في عرض تلك الدراسة عرضًا جيدًا يليق بفن من أخصب الفنون ألا وهو فن الشعر، وأن يجنبني الزلل، وأن يجعل ما أصبت فيه في ميزان حسنات والدىَّ ــ رحمهما الله ــ وميزان حسنات أساتذتي، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وصلاة وسلامًا على أشرف الخلق، وعلى أهله وصحابته والتابعين هديه ليوم الحصاد الأعظم.

التمهيد

علم اللغة الاجتماعي ـ المفهوم والنشأة والمجالات ـ نبذة مختصرة

توطئة:

علم اللغة الاجتماعي هو أحدث فروع علم اللغة[١] ولا يخفى علينا الاتصال الشديد بين اللغة والمجتمع فـ «اللغة نشاط اجتماعي، من حيث إنها استجابة ضرورية، لحاجة الناس إليها في الاتصال فيما بينهم، ولهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالًا شديدًا، بالعلوم الاجتماعية، وأصبحت بعض بحوثه تدرس في علم الاجتماع، فنشأ لذلك فرع منه يسمى: "علم الاجتماع اللغوي"، يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة.»[٢]

وفي البداية نود البحث عن الوظيفة التي تقوم بها اللغة:

من خلال النظر في آراء العلماء نجد أنهم اختلفوا في تحديدها؛ وذلك وفقًا لاختلاف نظرتهم إلى اللغة ذاتها:

فالفلاسفة وعلماء المنطق ومن تأثر بهم وبعض علماء علم النفس يرون أن وظيفة اللغة هي التعبير عن الفكر أو المشاعر الإنسانية المختلفة؛ لذلك تم حصر وظائف اللغة عندهم في أمور ثلاثة هي:

١- استخدامها وسيلة للتوصيل.

---

(١) ينظر: فصول في علم اللغة العام، د/عمرو خاطر عبد الغني وهدان، (١٢٥/١) مؤسسة حورس الدولية، الأسكندرية، ط ٢٠١٠م

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص١٢٥، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧ه ــ ١٩٩٧م.

٢- استخدامها بمثابة عون آلي على التفكير.

٣- استخدامها وسيلة للتسجيل والرجوع إلى ما يسجل.(١)

أما غير السابقين من علماء علم النفس فيرون أن اللغة لا تعدو أن تكون إحدى وسائل الحياة وأن لهاعندهم وظائف ثلاث لا تتجاوزها، وهي:

١- التعبير عن شيء ما، أو الإخبار عنه، وهذا خاص بالمتكلم.

٢- استدعاء معنى من المعاني، وهذا خاص بالسامع.

٣- توضيح لشيء ما، وهذا خاص بموضوع البحث.(٢)

وبالنظر في الرأيين السابقين نراهما غير صالحين لبيان الوظيفة الحقيقية للغة لكون الأول حصر الوظائف اللغوية في الجوانب المتعلقة بالفكر، والثاني حصرها في جانب واحد فقط هو الجانب النفسي، وكلتا النظريتين قد أغفلت جانبًا مهما، وهو أن اللغة ظاهرة اجتماعية في أساسها، وليست ظاهرة عقلية أو نفسية.(٣) وذلك ما أكده كثير من اللغويين أثناء حديثهم عن وظيفة اللغة فها هو ذا د/ السعران يذكر لنا أنواعًا من وظائف الكلام لا تندرج تحت ما سبق ذكره من وظائف اللغة منها:

١- المونولوج: الكلام الانفرادي بصوره المختلفة كالقراءة الانفرادية بصوت عال، وكتدوين الملاحظات التي لا يريد الكاتب بها إلا

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي،ص٣٠، ط٤، ١٤٢٤م ـ ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي، ص٣٢.

(٣) السابق ص٣٣.

نفسه، فالمونولوج يعرف أحيانًا: بتحديث الإنسان نفسه، أو التفكير بصوت مرتفع، فاللغة تستعمل فيه من باب التنفيس والتفريج عن الآلام والأحزان.(١)

٢- ومن أنواع الوظائف الكلامية التي لا نجد فيها نقلًا للأفكار، أو شيئًا يمكن أن ينقل، كثير من صور استعمال اللغة فيما يسمى بالسلوك الجماعي: كما في الاجتماعات الدينية كالصلاة والدعاء وما يصحبهما من أقوال وأفعال تختص بالحياة الدينية.(٢)

٣- استعمال اللغة في المخاطبات الاجتماعية التي لا تستهدف غاية، مثل: لغة التحيات، ولغة التأدب، والكلام عن حالات ظاهرة كالجو؛ فكل ذلك يثبت أن تبادل الكلمات يمكن أن يكون غاية في نفسه.(٣) وغير ذلك من الاستعمالات التي لا تندرج تحت التوصيل أو التفكير. لذلك يجب أن تتسع نظرتنا للغة ووظيفتها ومن هنا جاء تشبيه بعضهم لها بالجسم البشري، فقال: «وكما أنّ جسم الإنسان جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية نجد اللغة جهازًا أكبر مكونًا من أجهزة فرعية، والخلاف الوحيد بين هذين الجهازين الأكبر وذلك أن الجسم جهاز حيوي وأن اللغة جهاز رمزي عرفي. وكما أنّ المرء يستطيع فهم الأجهزة الفرعية في الجسم مستقلًّا بعضها عن بعض في الذهن لا في الحقيقة، يمكن أن يفهم المرء الأجهزة الفرعية في اللغة فرادى، مع أنَّ وظائفها لا تتحقق عمليًّا إلّا والأجهزة متناسقة متكاملة متكافلة في إطار اللغة، فلا يقوم جهاز منها مستقلًّا عن بقيتها إلّا في مقام

(١) ينظر: اللغة والمجتمع رأي ومنهج، د/ محمود السعران ص١٧، الإسكندرية ، ط٢، ١٩٦٣م.

(٢) السابق ص١٨.

(٣) السابق ص١٩.

الوصف والتحليل. وكما أن وظيفة الجسم الإنساني هي تحقيق الوجود البيولوجي للفرد، نجد وظيفة اللغة تحقيق الوجود الاجتماعي للفرد نفسه. فاللغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع.»[١] فاللغة ما هي إلا مجموعة من العادات والخصائص الاجتماعية للجماعة اللغوية.

لذلك كان استعمالنا «للغة هو في أساسه صورة من صور العمل الاجتماعي، ووسيلة من وسائله، ذلك لأن كل كائن بشري يجد في نفسه الميل إلى الاجتماع بسواه، والاستمتاع بصحبة غيره، والنفور من الجليس الصامت، والكلام أقرب مستلزمات تحقيق هذا الميل.»[٢] فاللغة تعيش في مجتمع وترتبط به، فهو صاحبها وهي وسيلته في الحياة: في التخاطب والتفاهم وفي التعامل وتبادل المنافع، وهي ظل المجتمع: ترقى برقيه، وتلبي رغباته، وتتسع لمتطلباته، وتجمد بجموده، وتنقرض بانقراضه.[٣] فـ«اللغة أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق، وكل تقدم اجتماعي كتب له الكمال إنما تم لوجود اللغة.»[٤] فماهي إلا انعكاس للظروف البيئية التي تنشأ فيها الجماعة اللغوية الناطقة بها، فهي «ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث عن الحياة الجمعية.»[٥] وتلك الحاجة للاجتماع هو ما يُعرف بالجماعة اللغوية فهي الجماعة التي تتشابه فيها مجموع العبارات التي يتعامل بها

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، د/تمام حسان، ص٣٣، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧ه ــ ٢٠٠٦م.
(٢)اللغة والمجتمع رأي ومنهج، د/ محمود السعران ص٢٠.
(٣) ينظر: في علم اللغة، د/ عبد العزيز أحمد علام، ص ٥٦.
(٤) مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان ، ص١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١٩٩٠م.
(٥) اللغة والمجتمع، د/ علي عبد الواحد وافي، ص٦ ، مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٣ه ــ ١٩٨٣م.

أبناؤها، على نحو يمكنهم من الفهم المتبادل، ومجموع العبارات المستعملة في الجماعة اللغوية يصدر عن بنية لغوية واحدة تربط كل أفراد الجماعة. وتتحدد الجماعة اللغوية باعتبار تشابه مجموع العبارات التي يتعامل بها أفرادها، فتعاملهم بها هو الذي جعل منهم جماعة لغوية واحدة.(١) «ومن هنا لا يمكن فهم اللغة، وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين؛ لأن فيها من الإنسان فكره، وطرائقه الذهنية، وفيها من العالم الخارجي تنوعه وألوانه.»(٢) وبذلك تعد اللغة من الأعمدة الأساسية في البناء الاجتماعي، ومن هنا أصبحت الحاجة لعلم لغوي يهتم بدراسة اللغة في إطارها الاجتماعي فكان علم اللغة الاجتماعي، أو علم اجتماع اللغة كما يسميه بعضهم. أو علم الاجتماع اللغوي، أو علم الأنثروبولوجي، أو الأنثروبولوجيا اللغوية، أو علم اللغة الأنثولوجي. وإن كان هناك من يفرق بين مصطلحي علم الاجتماع اللغوي، وعلم اجتماع اللغة من حيث درجة الاهتمام، ويظهر ذلك في التركيز على جانب دون آخر: الاهتمام بالجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي، ولا مجال هنا لتفصيل القول في ذلك.(٣)

---

(١) ينظر: علم اللغة العربية، د/محمود فهمي حجازي، ص١٧، دار غريب.

(٢) علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د/ هادي نهر، ص١٨، الجامعة المستنصرية، ط١، ١٤٠٨ه ـــ ١٩٨٨م.

(٣) ينظر: علم اللغة الاجتماعي (مدخل) ، د/ كمال بشر، ص٤٢، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

وفيما يلي بيان المقصود به وأهم مجالاته البحثية:

تعريف علم اللغة الاجتماعي:

عرَّفه هدسون بأنه دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع.(١)

ويقول فيه د/ بشر: هو «ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقاتها بالمجتمع. فينظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية.»(٢)

وجدير بالذكر أن هذا العلم لم يكن بدعًا ولا اكتشافًا لعلماء الغرب، أو لم يكن معروفًا من قبل، أو أن نقاط البحث فيه لم تكن مطروقة من قبل، لأن كثيرًا من مواضيعه كانت الإطار العام للغة، وعلى أساس أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأن بينها وبين المجتمع تبادلًا مستمرًا من حيث التأثير والتأثر. فهناك في علم اللغة درج الكثيرون من اللغويين على معالجة قضايا معينة تدخل في إطار علم اللغة الاجتماعي، مثل رأيهم في الوظيفة الاجتماعية والتواصلية للغة، وتنوع اللغة إلى لهجات وأنماط من الكلام بحسب البيئة أو الثقافة أو الحرفة أو الصنعة ... إلخ، فالذي حدث في السنوات الأخيرة هو نوع من التجميع لنقاطه ومسائله.(٣)

ومما يؤكد ذكره والإشارة إليه بصور مختلفة عند علماء العرب قديمًا كما سياتي بيانه في الحديث عن مجالٍ من مجالاته البحثية وهو المستوى

---

(١) علم اللغة الاجتماعي، د/ هدسون، ترجمة/ محمد عياد ص١٢، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

(٢) علم اللغة الاجتماعي (مدخل) ، د/ كمال بشر، ص٤١.

(٣) ينظر: السابق ص٥٥.

المهني فلقد تكررت الإشارة لهذا المستوى في كثير من الكتب القديمة عند العرب كما سياتي في المبحث الأول.

ونكتفي هنا بالإشارة لبعض العلماء الذين لم تخل مؤلفاتهم من النظرة الاجتماعية للغة فها هو ذا ابن جني في تعريفه للغة يدل بوضوح على وجود هذا العلم لديه وذلك عندما استخدم لفظة (قوم) التي تشير بوضوح للمجتمع في تعريفه للغة، فيقول هي: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.»[١] فهو «بهذا التعريف الوجيز أجمل قبل ألف سنة ما فصله علماء الغرب في العصر الحديث، إذ كشف بكلمتين اثنتين القناع عن الوجه الاجتماعي للغة، فالقوم المجتمع، والأغراض أفكار المجتمع ومشاعره. وفحوى كلامه أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا ظاهرة فردية؛ لأن الإنسان لا يستخدمها ليترجم أفكاره ومشاعره لنفسه، بل لمن حوله من بني جنسه، أي: للمجتمع.»[٢]

ونجد الجاحظ أيضًا في نظرته للغة لم تخل من فكر اجتماعي عميق فنلحظ احتفاؤه بالمقام وظروف الحال المتعلقة بالكلام، وله في ذلك أقوال كثيرة متناثرة في أعماله ومن ذلك قوله في البيان والتبيين: «ومتى سمعت- حفظك الله- بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيّرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، وملحة من ملح الحشوة و(الطغام[٣])، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظًا حسنًا، أو تجعل لها من

(١) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (٣٤/١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
(٢) في علم اللغة، د/ غازي مختار طليمات، ص٢٢، دار طلاس، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠م.
(٣) الطغام: أرذال الطير والسباع، وأيضًا أرذال الناس وأوغادهم. لسان العرب (ط غ م)

فيك مخرجًا سريًا، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها.»[١] فنراه هنا يؤكد على البعد الاجتماعي بالنسبة للمخاطب، وأيضًا بالنسبة للأصل اللغوي، فلا يستعمل من الخطاب إلا ما يوافق المتكلم وبيئته الاجتماعية لتكون أدعى لفهم واستيعاب الحديث.

وأيضًا ابن خلدون، وغيره من علماء اللغة، الذي لا يتسع المقام لذكر نماذج لديهم تثبت وجود هذا الفكر الاجتماعي لديهم.[٢]

مجالات علم اللغة الاجتماعي:

يطمح أصحاب هذ العلم إلى اكتشاف الاسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي، مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد السلوك اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية.

«وهذا العلم بمعناه الواسع يعنى أيضًا بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة، ويشمل أيضًا كل ما يتعلق بالعلائق بين اللغة والمجتمع... وكذلك تلك المحاولات التي يمكن أن تُلحق بعلم اللغة، ومنها طرق التكلم، وموقف المتكلم والمخاطب، واللهجات المحلية، وصور الأنشطة المحكومة بقواعد استخدام اللغة، ومشكلات الاتصال اللغوي، والموضوعات التي تهتم

(١) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب، الجاحظ، (١٣٦/١) دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١٤٢٣ه. وينظر: علم اللغة الاجتماعي(مدخل) د/كمال بشر، ص١١٧.
(٢)ينظر: علم اللغة الاجتماعي(مدخل) د/كمال بشر، ص ٧١: ١٣٦.

بالتغيرات اللغوية على المستوى الجغرافي والاجتماعي والثقافي للغات المختلفة، أو داخل اللغات، وعلم اللهجات المشتمل على الجغرافية اللغوية، وتحديد مواطن اللهجات ضمن المجتمع الواحد مع وضع الاطالس اللغوية لها... ويدخل ضمن علم اللغة الاجتماعي بمعناه الواسع أيضًا ميادين أخرى كتحليل الخطاب السياسي أو الأدبي أو الديني أو الإعلامي .. إلخ.»[١] وغير ذلك من القضايا والمشكلات التي يتناولها .

«وجدير بالذكر أن علم اللغة الاجتماعي ليس بمقدوره منفردًا أن يصل إلى حلول جذرية لهذه المشكلات وما أشبهها، ولكنه في الوقت نفسه سبيل فعَّال من السبل التي تتضافر فيما بينها للوصول إلى نوع مقبول من هذه الحلول، إنه في أضعف الحالات يستطيع أن يمدنا بمعلومات أولية من شأنها أن تعين الفرد وإمكاناته اللغوية: ماذا يستطيع أن يقول، وكيف يقول، وما وسائل هذا القول ومن الذي يخاطبه، ومتى وأين؟»[٢]

ويمكن الاستناد إلى التصنيف الذي تقدم به (هاليداي) لحصر مواطن اهتمامات اللسانيات الاجتماعية، وهي كالآتي:

- الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي، وتعدد اللهجات.
- التخطيط والتنمية اللغوية.
- ظواهر التنوع اللغوي.
- علم اللهجات الاجتماعي (المتنوعات غير المعيارية).
- اللسانيات الاجتماعية والتربية.
- الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية (طريقة وأسلوب الكلام).

---

(١) علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د/ هادي نهر، ص٢٤.

(٢) علم اللغة الاجتماعي (مدخل) د/ كمال بشر، ص٤٧.

- السجلات والفهارس الكلامية والانتقال من لغة إلى أخرى.
- العوامل الاجتماعية في التغير الصوتي والنحوي.
- اللسان والمجتمع والتواصل الحضاري.
- النظرية الوظيفية والنظام اللغوي.
- تطور اللغة عند الطفل.
- اللسانيات العرفية.
- دراسة النصوص.

أما علم اللغة الاجتماعي بمعناه الضيق فإنه يهتم بالخطوط العامة التي تميز المجموعات الاجتماعية من حيث إنها تختلف وتدخل في تناقضات داخل المجموعة اللسانية العامة نفسها، والوقوف على القوانين التي تخضع لها الظاهرة اللغوية في حياتها وتطورها وما يعتورها من شؤون الحياة، ومبلغ تأثرها بما عداها من الظواهر الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس اللغة، وما تحمله هذه اللغة من طوابع الحياة التي يحياها المتكلمون، وطرائق الاستعمال اللغوي التي يكتسبها الإنسان من المجتمع.(١) وبذلك يكون أبرز ما يدرسه علم اللغة الاجتماعي هو مدى ما تحمله اللغة من طوابع الحياة التي يحياها المتكلمون، وأثر هذه الحياة في وسم اللغة بسمات خاصة من حيث المفردات والأساليب.(٢)

ويتضح ذلك التأثير جليًا في تباين المستويات المهنية فكل مهنة نجدها تصبغ صاحبها بصبغة لغوية خاصة فيتكون لديه قاموس لغوي خاص بهذا المحيط وفيما يلي بيان ذلك:

---

(١)علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د/ هادي نهر، ص٢٤.

(٢) ينظر: السابق ص١٧٩.

المبحث الأول

المستويات المهنية وأثرها في الاستعمال اللغوي

مدخل:

لقد أولى علم اللغة الاجتماعي اهتمامًا متميزًا لدراسة الخصائص اللغوية العائدة لمجموعات مهنية أو فئات اجتماعية، فدعا (هاريس) إلى دراسة أثر النشاط الاجتماعي والمهني على الأسلوب اللغوي على وفق ذلك النشاط من صحافة أو أدب أو علم أو حرفة.(١)

وقرر (مالينوفسكي) أن اللغة ليست فقط للتفاهم والاتصال، فهي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، وأنها جزء من السلوك الإنساني، وهي ضرب من العمل، وهو يرى أن العمل الإنساني هو أصل مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية، ويرى أن مواقف العمل هي التي تعمل في تنويع اللغة.(٢)

ويؤدي ذلك إلى أن تنشعب لغة المحادثة في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى لهجات مختلفة تبعًا لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم: فيكون ثم مثلًا لهجة للطبقة الاريستوقراطية، وأخرى للجنود، وثالثة للبحارة، ورابعة للرياضيين، وخامسة للبرادين، وسادسة للنجارين.. وهلم جرا. ويطلق

---

(١) ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب، د/ هادي نهر لعيبي، ص١٤٣، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م. نقلًا عن Zelin Harris Discourse analasis lang. London 1952,p18

(٢) ينظر: دراسات في اللغة، د/ إبراهيم السامرائي، ص١٩٣ ، مطبعة العاني، بغداد، ط ١٩٦١م.

المحدثون من علماء اللغة على هذا النوع من اللهجات اسم (اللهجات الاجتماعية) تمييزًا لها عن (اللهجات المحلية).(١)

ويؤدي إلى نشأة هذه اللهجات ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في البيئة الاجتماعية، وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف، والآثار العميقة التي تتركها كل وظيفة ومهنة في عقلية المشتغلين بها، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات في غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم.. وهلم جرا. (٢)

والاتصال الجماعي في المجتمعات التي تشهد تطورًا جديدًا في التنظيم الصناعي يبدو في صورة المنهج الذي لا يستغنى عنه. وقد صارت الثورة اللغوية جزءًا من الثورة الصناعية. وأول خطوة في سبيل التطور بالصناعة يجب أن تكون هي التوسع في تعليم القراءة والكتابة، ويجب أن ترتبط النصوص المستعملة في تعليمهما بحاجات الجمهور، ومواضع اهتمامه، كما يجب أن تساعد على تلبية رغباته في تحسين الظروف التي يعيش فيها والسيطرة عليها.(٣)

---

(١) ينظر: اللغة والمجتمع، د/ وافي ص١٢٩.

(٢) ينظر: اللغة والمجتمع، د/ وافي ص١٢٩.

(٣) ينظر: اللغة في المجتمع، م.م. لويس، ترجمة /د/ تمام حسان، مراجعة د/ إبراهيم أنيس، ص ١٧١ ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١٩٥٨م.

ولا يشك أحد في قوة العلاقة التي تربط بين النشاط اللغوي والنشاط المهني ــ الاقتصادي ــ فجاء «أن الاتصال اللغوي والمناهج الاقتصادية متساندان؛ ففي العالم الحديث لم يتحقق التوسع في التعليم النطقي والكتابي من أجل وجود الوسائل المادية كالمدارس والصحافة والإذاعة فحسب، بل إنه تحقق كذلك لعدم إمكان الاستغناء عن الصورة المتطورة للاتصال اللغوي، من أجل أن تؤدي المناهج الاقتصادية الحديثة غرضها وتنمو اللغة الجماعية في المناهج، لآنهما متكاملان تكاملًا تامًا. والمناهج متكاملة في نفس الوقت من أجل تطور اللغة الجماعية، فهذه المناهج تؤدي وظيفتها مع قسط متزايد من الشعور الجماعي.»(١)

ويثبت تلك الحقيقة ما نراه من تأثير واضح للمستويات المهنية المختلفة على التعبيرات اللغوية عند أصحاب كل مهنة؛ فـ «مظاهر النشاط الاقتصادي تطبع اللغة بطابع خاص في مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها، ومن ثم اختلفت مظاهر اللغة في الأمم والمناطق تبعًا لاختلافها في نوع الإنتاج، ونظم الاقتصاد، وشئون الحياة المادية، والمهنة السائدة (الزراعة، الصناعة، التجارة، الصيد، رعي الأنعام ... إلخ) وقد تؤثر هذه المظاهر في أصوات اللغة نفسها، فقد يؤدي نوع العمل الذي يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم في صورة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتي.»(٢)

فنرى لكل مهنة وطبقة في المجتمع اللغة الخاصة بها من مفردات وأساليب، فيكون «اختلاف الطبقات في بعض الأمم، وما يفصلها من فوارق

---

(١) السابق ص١٧٣.

(٢) اللغة والمجتمع، د/ وافي ص١٤.

في مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كل ذلك يؤدي إلى التمييز بينها في المفردات التي تطلق على شئون كل طبقة منها. وإليك مثلًا المفردات التي تطلق على أنواع الدخل والأجور، فإن مبلغ الاختلاف بين هذه المفردات في أمة ما ليسجل مبلغ الاختلاف بين طبقات هذه الأمة في مستوى الحياة، وإن الأصل اللغوي الذي يرجع إليه كل مفرد منها ليشير في صورة ما إلى عمل الطبقة التي يطلق على دخلها وإلى نشاطها الاقتصادي، ومنزلتها في سلم الطبقات. ففي اللغة الفرنسية مثلًا يطلق لفظ خاص على كل من دخل المسكين، والخادم، وعامل اليومية، والعامل الدائم، والممثل، والصحفي، والقسيس، والجندي، والضابط، والموظف غير الحكومي، والموظف الحكومي، وصاحب المهنة الحرة كالطبيب والمحامي والمالك الزراعي ومن إليه، والمساهم في شركة ما، والنائب البرلماني.. وهلم جرا. وكل مفرد من هذه المفردات يشير أصله اللغوي في صورة ما إلى عمل الطبقة التي يطلق على دخلها، وإلى نشاطها الاقتصادي، ومنزلتها بالقياس لما عداها من الطبقات.»[١]

وفي العادة لا تتميز اللهجات الاجتماعية بعضها عن بعض تميزًا واضحًا إلا في المدن الكبيرة حيث يتكاثف السكان، ويزدحم الناس، وتنشط الحركة الاقتصادية، وتتنوع الوظائف وتتعدد المهن، ويشتد النزاع بين الطبقات. وأهم أنواع اللهجات الاجتماعية ما يسمونه (باللهجات الحرفية)، وهي اللهجات التي يتكلم بها فيما بينهم أهل الحرف المختلفة كالبرادين والنجارين والنقاشين والصيادين والبحارة.. وهلم جرا.[٢]

---

(١)اللغة والمجتمع، د/ وافي ص١٦

(٢) ينظر: السابق ص١٣١.

وبتفحص كتب علماء اللغة قديمًا نجدها ممتلئة بالإشارة للتنوع اللغوي المصحاب لاختلاف الطبقات كما سبق ولاسيما الطبقات المهنية وبيان مدى تأثيرها على الاستعمال اللغوي، أمثال الجاحظ في مؤلفاته، والصقلي، والخوارزمي وغيرهم.

وفيما يلي عرض لنموذج أورده الجاحظ في رسالة (صناعات القواد) ليؤكد من خلالها مدى تأثير المهنة على التعبير اللغوي، حيث «تمتاز هذه الرسالة بأنها قد سجلت كثيرًا من الألفاظ الدخيلة والمولدة التي كان يستعملها الصناع والعمال وأصحاب المهن المختلفة.»[١] فيقول:

«فخذ يا أمير المؤمنين أولادَك بأن يتعلموا من كلِّ الأدب؛ فإنك إن أفردتهم بشيء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه.

وذلك أنّي لقيت حِزَامًا ــ صاحب خيل أمير المؤمنين ــ حين قدِمَ أمير المؤمنين من بلاد الروم، فسألته عن الحرب كيف كانت هناك؟ فقال:

لقيناهم في مقدار صَحْن الإصطبل، فما كان بقدرِ ما يحُسُّ الرجلُ دابَّتَه حتى تركناهم في أضيق من مَمْرغة. وقتلناهم فجعلناهم كأنهم أنابير سِرجين، فلو طُرحت رَوثةٌ ما سقطَتْ إلا على ذنَب دابّة. ...

قال : وسألت بَخْتِيَشُوع الطبيب عن مثل ذلك فقال :

---

(١) رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (٣٧٨/١) تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

لقيناهم في مقدار صَحْن البيمارستان، فما كان بقدر ما يختلف الرجل مَقعدين حتى تركناهم في أضيقَ من مِحْقَنة، فقتلناهم فلو طرحت مِبضعًا ما سقط إلا على أكحَلِ ــ عرق في اليد إذا قطع لم يرقأ الدم ــ رَجُل...

قال: وسألت جعفرًا الخياطَ عن مثل ذلك فقال:

لقيناهم في مقدار سُوق الخُلقان، فما كان بقدر ما يَخيط الرجل دَرْزًا ــ موضع الخياطة ــ حتى قتلناهم وتركناهم في أضيق من جربَّانٍ ــ جيب القميص ــ ، فلو طرحتْ إبرةُ ما سقطت إلا على رأس رجل...

قال: وسألت إسحاق بن إبراهيم عن مثل ذلك ــ وكان زرّاعًا ــ فقال:

لقيناهم في مقدار جَرِيبين من الأرض، فما كان بقدر ما يَسْقي الرجل مَشَارَةً ــ هي البقعة من الأرض تزرع ــ حتى قتلناهم، فتركناهم في أضيق من بَاب، وكأنهم أنابير سُنْبُل، فلو طُرِح فَدّانٌ ما سقط إلا على ظهر رجل...

قال: وسألت فرجًا الرُّخَّجيَّ ــ نسبة إلى رخج، وهي كورة ومدينة من نواحي كابل ــ عن مثل ذلك ــ وكان خبّازًا ــ فقال:

لقيناهم في مقدار بيت التَّنُور، فما كان بقدر ما يخبِز الرجلُ خمسة أرغفة حتى تركناهم في أضيق من حَجَر تنّور، فلو سقطت جمرة ما وقعت إلا في جَفنة خبَّاز...

قال: وسألت عبد الله بن عبد الصمد بن أبي داود عن مثل ذلك ــ وكان مؤدبًا ــ فقال:

لقيناهم في مقدار صَحْن ــ الساحة وسط الدار ــ الكُتَّاب ــ موضع تعليم الصبيان ــ ، فما كان بقدر ما يقرأ الصبيُّ إمامَه حتى ألجأناهم إلى

أضيق من رَقْم ــ الرقم الكتابي المستعمل للتعبير عن أحد الأعداد ــ فقتلناهم، فلو سقطت دواةٌ ما وقعت إلا في حِجر صبيّ...

قال: وسألت علىَّ بن الجهم بن يزيد ــ وكان صاحبَ حمام ــ عن مثل ذلك فقال:

لقيناهم في مثل بيت الأنبار ــ لعله البيت الذي تحفظ فيه الثياب ــ ، فما كان إلا بقدر ما يغسل الرجل رأسه حتى تركناهم في أضيقَ من باب الأتُّون، فلو طرحت لِيفةً ما وقعت إلا على رأس رجل...

قال: وسألت الحسن بن أبي قماشة عن مثل ذلك ــ وكان كنَّاسًا ــ فقال:

لقيناهم في مقدار سَطح الإيوان، فما كان إلا بقدر ما يكنس الرجل زَبِيلًا ــ القفة ــ حتى تركناهم في أضيق من جُحر المَخرج، ثم قتلناهم بقدر ما يشارط الرجل على كَنْس كنيف، فلو رميتَ بابتة وردَانةٍ ما سقطت إلا على فم بالوعة...

قال: وسألت أحمد الشَّرابيَّ عن مثل ذلك فقال:

لقيناهم في مقدار صحن بيت الشَّراب، فما كان بقدر ما يصفِّي الرجلُ دنًّا حتى تركناهم في أضيق من رطليّة ــ نسبة إلى الرطل، والمراد وعاء أو كأس يسع رطلًا من الشراب ــ فقتلناهم، فلو رميت تُفّاحةً ما وقعت إلا على أنف سكران...

قال: وسألت عبد الله بن طاهر عن مثل ذلك ــ وكان طبّاخا ــ فقال:

لقيناهم في مقدار صَحْن المطبخ، فما كان بقدر ما يَشوِي الرجُل حَمَلًا حتى تركناهم في أضيق من موقَد نار، فقتلناهم فلو سقطت مِغرفةٌ ما وقعت إلا في قدر...

قال: وسألت ــ أطال الله بقاءك ــ محمد بن داود الطوسيَّ عن مثل ذلك ــ وكان فرّاشًا ــ فقال:

لقيناهم في مقدار صَحن بساط، فما كان إلا بقدر ما يفرش الرجل بيتًا حتى تركناهم في أضيق من مِنصَة فقتلناهم، فلو سقطت مِخَدَّة ما وقعتْ إلا على رأس رجل....[١]

وذلك المثال وغيره من الأمثلة التي عجت بها الكتب اللغوية التراثية يؤكد على أن اللغة علامة طبقية مميزة ففي الجماعة الكلامية الواحدة تختلف لغة المتعلمين عن لغة الأميين؛ والمتعلمون يختلقون لغة فيما بينهم باختلاف درجة تعلمهم، وباختلاف مهنهم وباختلاف درجة ثرائهم وبسوى ذلك من الأسباب.[٢]

فاللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة ومنها ما تعتنقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر الفنون الجميلة... كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها: في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب... وهلم جرا.[٣]

---

(١) رسائل الجاحظ (٣٨١/١)

(٢) ينظر: اللغة والمجتمع، د/ السعران ص٥٨.

(٣) اللغة والمجتمع، د/ وافي ص ١٤.

ولاسيما المستويات المهنية التي يزاولها المتكلمون، فهي تمثل ألوانًا من العلاقات بين اللغة والمجتمع، فالغالب أن الكلام الذي يستعمله أصحاب المهن، بما فيه من ألفاظ وتراكيب وأمثال، بل بما فيه من طريقة نطق الكلمات دال على عمل صاحبه وعلى طبقته الاجتماعية.(١)

ولا أدل على ذلك من اختلاف المستويات اللغوية بين الشعراء تبعًا لاختلاف مهنهم فمن خلالهم يمكننا بيان أثر اختلاف المستويات المهنية على الاستعمالات اللغوية من الناحية التطبيقية.

ولقد قمت باختيار ثلاثة من شعراء العصر الحديث لبيان مدى إثبات تلك الحقيقة الاجتماعية لديهم أو نفيها، وهم الطبيب/ إبراهيم ناجي، والضابط/ حافظ إبراهيم، واللغوي/ فاروق شوشة، وفيما يلي بيان لأبرز الألفاظ التي اشتهرت وتكرر استخدامها عند كل منهم والتي تدل على تأثره بمهنته في لغته، وبيان ما إذا كانت كررت عند الشاعرين الأخرين.

(١) ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ص١٥٦.

المبحث الثاني

حافظ وأثر مهنة العسكرية في استعمالاته اللغوية

توطئة عن الشاعر:

التحق حافظ إبراهيم بالمدرسة الحربية وتخرج فيها برتبة ملازم ثان عام ١٨٩١م وقد قارب العشرين، ولم تمض على تعيينه ثلاث سنوات حتى يُرقّى إلى رتبة ملازم أول في ١٨٩٣م.(١)

وعند النظر في شعره نراه « يقف موقف الصحافة الوطنية والخطباء الوطنيين وقادة الرأي الاجتماعيين يغشى مجالس كل هؤلاء. ويتشرب من أرواحهم، ويستمد من وحيهم ويغذي عواطفه من عواطفهم، ثم يخرج ذلك كله شعرًا قويًا ملتهبًا يفعل في النفوس ما لا تفعله الخطب والمقالات ... وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية، فإن فشل في حرب السيف فليحارب بالقلم، وإن أخطأ في ثورة الضباط في السودان، فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال.»(٢)

فلقد كان شعره صورة لبيئته، وكان شاعر الوطنية الصحيحة، ووقف موقف الرافض للاحتلال الأجنبي.(٣) ولقد التصق بعامة الشعب فولد ذلك اجتماعياته الشعرية التي سيطرت على منتوجه الشعري ، وارتباطه بالساسة

---

(١) حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، (ص٦) ، د/ السعيد محمود عبد الله، ط ٢٠٠٠م.

(٢) الاجتماعيات في شعر حافظ إبراهيم، (ص١، ٢) بحث لـ / طلعت صبح السيد، إشراف/د/ أحمد الشرياصي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

(٣) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، ص١٣٣.

والوطنيين أشعل حماسة الوطني الذي ترجمه في شعره.[١] ولقد كان يمتاز بالصدق في تفسيره لأماني شعبه، وتصويره لمساوئ عصره، وكانت آراؤه مقتبسه من الحاضر في اجتماعياته، كان إذا تهيأ للشعر عمد إلى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس، وتستفيض في المجامع، وتتردد في الصحف فيجمعها في باله، ويدبرها في خاطره، ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ.[٢]

وبالنظر في ديوان الضابط/ حافظ إبراهيم نراه قد عج بالألفاظ والأساليب الحربية والتي تعكس بوضوح طبيعة مهنته العسكرية وبيئته الحربية، والتي جعلت معظم قصائد ديوانه تدور في فلك الحرب وكفاح المستعمرين، فلقد استخدم الشعر سلاحًا روحيًا في كفاحه ضد الاستعمار، وفيما يلي ذكر لبعض النماذج التي تؤكد مدى تأثره بمهنته العسكرية في الاستعمالات اللغوية داخل أشعاره، وهذه النماذج مقسمة لثلاثة أقسام: الأول: يدور حول سبب نظم قصائده وذلك يتضح من خلال عناوين القصائد، الثاني: الألفاظ وفيه ذكرت بعض ألفاظ الأسلحة، والحروب والتي كررت في الديوان بكثرة، الثالث: الأساليب التي توحي بالدفاع والحرب والقتال وغير ذلك من الأمور الحربية التي جاءت في أغراضه الشعرية المختلفة.

---

(١) ينظر: تطور الشعر الحديث والمعاصر، د/ عمر القاق، د/ محمد نجيب التلاوي، د/ مراد عبد الرحمن مبروك، ص٩٢، دار الأوزاعي، ط١، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م .

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص٥٠٦، دار نهضة مصر، القاهرة.

الأول: قصائد ديوانه وعناوينها:

***نظم قصيدة بعنوان : دولة السيف ودولة المدفع.(١)**

جاءت زاخرة بألفاظ السلاح والقتال والحرب ورد فيها ذكر: القواضب الصَّقال، الأبيض القَصّال، الأسمر العَسّال: وهي الرماح الشديدة الاهتزاز، وهو من صفات الرماح الجيدة، مملكة المدفع.

***وقصيدة/ خنجر مَكْبِثْ(٢) وهي مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرًا حينما همّ باغتيال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه في ملكه.**

جاء فيها ذكر: نصلًا مجردًا، صفحتيه، النصل.

***وقصيدة بعنوان الحرب اليابانية الروسية (٣)**

جاءت فيها الكثير من الألفاظ الحربية منها: أساحة للحرب، جند، لا يغمدون السيف، الحرب، العسكر، المدفع، الدرع، الأسطول، أسير.

***وقصيدة بعنوان حرب طرابلس: تحدث فيها عن الحرب التي أغارت فيها إيطاليا على طرابلس حتى تنتزعها من تركيا. (٤)**

***وقصيدة إلى غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا: قالها ينكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع.(٥)**

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم (ص٢٠٩)، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه/ أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الابياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م .

(٢) ديوانه ص٢٣٤.

(٣) ديوانه ص٣٢٤.

(٤) ديوانه ص٣٨٠.

(٥) ديوانه ص٣٩٨.

* وقصيدة الحرب العظمى.[١]

تحدث فيها عن الاختراعات العلمية التي تستخدم لتدمير البلدان في الحروب.

*وقصيدة بعنوان/ مظاهرة السيدات.[٢]

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية سنة ١٩١٩م، واستخدم فيها ألفاظ الجيش، الخيل، الجنود، السيوف، المدافع، البنادق، الصوارم، الأسنة.

الثاني: الألفاظ العسكرية التي جاءت في ديوانه ومنها:

اللفظة	عددها	اللفظة	عددها	اللفظة	عددها	اللفظة	عددها	اللفظة	عددها
الأسطول	١٢	الأسنة	٢	البنادق	٢	البيض	٣	الجندي	٦
الجيش	١٩	الحرب	٢٢	الحسام	٤	الخميس	١	الدرع	٤
الذوابل	١	الرمح	٣	السهم	٧	السيف	٢٦	الشبا	٤
الصارم	٦	الظبا	٥	غزى	٢	الفيلق	٣	القنا	٤
القنابل	١	القواضب	٣	المدفع	٦	المران	١	المزراق	١
المسدس	١	معقل	١	المهند	٩	موقعة	١	النزال	٤
النصل	٣	الهيجاء	٢	الوغى	٦	اليمان	١		١٧٦

نلحظ من الجدول السابق كثرة الألفاظ العسكرية الي جاءت في ديوانه خاصة لفظ السيف، مما يعكس مدى تأثره بمهنته في استعمالاته اللغوية، وفيما يلي ذكر لبعض المواضع التي جاءت فيها تلك الألفاظ:

(١) ديوانه ص٤٠٠.

(٢) ديوانه ص٤٠١.

*السيف، وهو أكثر الألفاظ ورودًا لديه لذا بدأت بها هنا ومن مواضعها:

قوله في تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء:

.....	∴	وإلا أَعَلَّ[1] السَّيْفَ مِنّا وأَوْرَدَا[2]

وكررت لفظة السيف بصيغ متعددة في مواضع متعددة منها:

أسيافهم (ص٩)، سيوف الهند (ص١٣)، السيف المصلت (ص٣٢، ١٣٢)، سيف قاطع (ص٧١)، السيف (ص٩١، ٣٢١، ٣٦٥)، وأيضًا جاءت بصور متعددة في (ص ٨، ٧٠، ٨١، ١١٣، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٩، ١٤٣، ٢٤٨، ٢٨٢، ٢٨٦، ٣٠٣ ، ٣٢٥، ٣٦٣، ٣٦٨، ٤٠١، ٤٦٠، ٤٨٢، ٤٨٧، ٥٧٩) سيف مهند (ص٢٤٧).

ومن التعبيرات التي أراد بها الإشارة للسيف:

شبا: أي حد السيف (ص٨، ٢٢٣، ٢٣٥، ٣٢٤).

ظبا: (ص٢٣٦، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤٠٤).

نصل: (ص٢٣٤، ٢٣٥، ٣٠٢).

*الحسام، يقول في تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء:

---

(١) أعل: من العلل وهي الشربة الثانية ، ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر. (ع ل) والمعنى في البيت: أي إن لم نخل له سبيله سقى السيف من دمائنا مرة بعد مرة. ينظر: ديوانه ص ٨.

(٢) ديوانه ص٨.

وجَرَّدْتَ للفُتْيَا حُسامَ عَزِيمَةٍ	∴	بِحَدَّيْه آياتُ الكِتابِ المُنَزَّلِ (١)

وكرر ذكرها في (ص٦١، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٥٤)

*الصارم، فيقول في تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصبه الإفتاء:

.....	∴	شَبَا صارِمِي(٢) عنهم وقد كان مُغْمَدَا (٣)

الصارم المصقول (ص٩٤) صوارم (ص١١١) وكررت في (ص ١٧١، ٣٣٣، ٤٠١، ٤٨٢)

*سهم:

.....	∴	أصابَه سَهْمٌ ولَمْ يُنْزَع (٤)

وجاء أيضًا في: (ص١٨٠، ٢١٤ ، ٢٤٩، ٢٨٩، ٣١٧، ٣٧٣، ٥٢٠).

*الهندي:

.....	∴	سَيْلٌ مِن الهِنْدِيِّ والمُرّانِ (٥)

وجاء في ديوانه أيضًا ذكر: المهند (ص٢٤٧، ٣٩٨، ٤٦٧)، المهند الصمصام (ص٢٨٥)، أبيض هندي (٤٠٦)، المهند القرضابا (ص٥٣٤)، وكرر في(ص ١٣، ٤٤، ٨٧، ٢٤٧، ٥٦١)

---

(١) ديوانه ص٥.

(٢) شبا الصارم: حده. ينظر: ديوانه ص٨

(٣) ديوانه ص٨

(٤) ديوانه ص٣٥

(٥) ديوانه ص٤٤

*يمان: السيوف اليمانية في قوله:

.....	∴	وحُكِّمَ في الهَيْجاءِ كلُّ يَمانِي(١)

*المرّان: الرماح الصلبة اللدنة [٢] في قوله:

.....	∴	سَيْلٌ مِن الهِنْدِيِّ والمُرّانِ (٣)

*الذَّوَابِلِ الطُّوال: الرماح الرقيقة، جاءت في قوله:

وصَوْلَةَ[٤] الذَّوَابِلِ الطِّوال[٥]

*المدافع، ورد في قوله:

فإذا المَدافِعُ في النِّزَال تَجاوَبَتْ	∴	..... (٦)

وكذا في : (ص١٣٢ ، ١٨٩، ٣٢٦، ٣٩٧، ٤٠١).

*القنابل، ورد في قوله:

وإذا القَنابِلُ دَمْدَمتْ وتَهجَّرتْ(٧)	∴	..... (٨)

(١) ديوانه ص٣٢٠

(٢) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، (م ر ن) ،تح/مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

(٣) ديوانه ص٤٤.

(٤) الصولة: من (صول) تدل على قهر وعلو. ينظر: مقاييس اللغة (ص و ل).

(٥) ديوانه ص٢٠٩.

(٦) ديوانه ص٤٥.

(٧) دمدمت عليهم: أي أرجفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب. ينظر: ديوانه ص٤٥.

(٨) ديوانه ص٤٥.

*البنادق، ورد في قوله:

وإذا البَنادِقُ أرْسَلَتْ نِيرانها	∴	..... (١)

وذكرت في: (ص٤٠١).

*أسنة، ورد في قوله:

وغَرَسْتُما أَرْضَ الحِجازِ أَسِنّةً	∴	..... (٢)

وذكرت في: (ص٤٠١).

*قنا: الرماح ، ورد في قوله:

ما الحَرْبُ تُذْكِيها قَنًا وصَوارِمٌ	∴	..... (٣)

وذكرت في: (ص٤٦٦).

*الرمح، ورد في قوله:

وما هَالَكُنِّ الرُّمْحُ والسَّيْفُ مُصْلَتًا	∴	..... (٤)

*المزراق: وهو الرمح القصير.[٥] ، ورد في قوله:

.....	∴	كشُؤُون رَبِّ السَّيْفِ والمِزْراق (٦)

(١) ديوانه ص٤٥.
(٢) ديوانه ص٤٩.
(٣) ديوانه ص١١١.
(٤) ديوانه ص١٣٢.
(٥) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (ز ر ق)، أحمد بن محمد علي الفيومي ، المكتبة العلمية، بيروت.
(٦) ديوانه ص٢٨٢.

*الدرع، يقول في قصيدة/ في جندي مليح:

.....	∴	فقُمْ نَلْتَمِسْ لِلسُهْدِ دِرْعًا مِن الصَّبْرِ (١)

وكرر في: (ص ١١١، ١٢٧، ١٣٠، ١٥٩، ٤٢١)

*أسطول، ورد في قصيدة في تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه:

وفي البِحارِ أَساطِيلٌ إذا غَضِبَتْ	∴	..... (٢)

وجاء ذكره في: (ص٧٠، ٧٥، ١١١، ١٤٧، ٢٧١، ٣٨١، ٣٨٢، ٤٠٦، ٤٨٦، ٥٤٨).

*المعاقل، ورد في تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه:

وأَقَمْتُمَا فيها المَعاقِلَ مَنْعَةً	∴	..... (٣)

ومن الألفاظ التي استخدمها في حديثه عن الحرب:

*الجيش المدجج.[٤] يقول في تهنئة الأستاذ الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء:

فَراعَهُمُ منه بجَيْشٍ مُدَجَجٍ	∴	..... (٥)

وكررت لفظة الجيش بصيغ متعددة في مواضع عدة منها:

---

(١) ديوانه ص٢٤٧.

(٢) ديوانه ص١٩.

(٣) ديوانه ص٤٩.

(٤) المدجج: المسلح. ديوانه ص١٦.

(٥) السابق الصفحة ذاتها.

(ص ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ١١١، ٢١٤، ٢١٧، ٢٤٢، ٣٠٠، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٨١، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٦٥).

*الوغى، يقول في تهنئة الأستاذ الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء:

إذا ثارَ في يَوْمِ الوَغَى مالَ مَنْكِبٌ	∴	.....(١)

وجاء في: (ص٣٢٤، ٣٢٥، ٣٦٣، ٣٧٩، ٤٠٧).

*الحرب، يقول في تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه:

وكان فارِسُهُم في الحَرْبِ صاعِقَةً	∴	.....(٢)

كررت لفظة الحرب فـــي (ص ٧٢، ٩٠، ١١١، ٣١٢، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٢، ٤٠٨، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٥٥، ٤٦٧، ٤٨٠، ٤٨٧، ٥٦٩)

*غزى، يقول في قصيدة/ عمر وخالد بن الوليد:

غَزَى فأبْلى وخَيْلُ اللهِ قد عُقِدتْ	∴	.....(٣)

وذكرها في: (ص٤١٣، ٤٦٥).

*موقعة، يقول في قصيدة/ عمر وخالد بن الوليد:

عِشْرُون مَوْقِعَةً مَرّتْ مُحَجَّلَةً	∴	.....(٤)

(١) ديوانه ١٧.
(٢) ديوانه ص١٩.
(٣) ديوانه ص٨٤.
(٤) ديوانه ص٨٥.

*الفيالق، يقول في قصيدة إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد:

.....	∴	قَبْلَ الفَيالِق والجَواري (١)

وكررها في: (ص ٣٧٣، ٤٠٠)

*الخميس، يقول في قصيدته / تحية لجمعية المرأة الجديدة:

وقَفْتُن في وَجْهِ الخَمِيسِ مُدَجَّجًا	∴	..... (٢)

*النزال، يقول في قصيدة دولة السيف ودولة المدفع :

يَثُورُ كالبركانِ في النزّال.(٣)

وكررت هذه اللفظة في: (ص٨٥، ١٤٧، ٢٠٩، ٤٥٢).

*الهيجاء، يقول في قصيدة/ العلمان المصري والانجليزي في مدينة الخرطوم:

.....	∴	وحُكِّمَ في الهَيْجاءِ كلُّ يَمانِي (٤)

وكررت في (ص٤٥٣).

(١) ديوانه ص١١٦.
(٢) ديوانه ص١٣٢.
(٣) ديوانه ص٢١٠.
(٤) ديوانه ص٣٢٠.

الثالث : التعبيرات التي تعكس تأثره بمهنته العسكرية.

بالنظر في ديوانه نجد كثيرًا من التعبيرات اللغوية ذات الدلالات العسكرية التي تنتشر في هذه البيئة وجاء ذكرها في شعره، والتي نستطيع من خلالها أن ندرك مدى تأثره بمهنته العسكرية في استعمالاته اللغوية ومن هذه التراكيب:

*قوله في قصيدة ألقاها في ذكرى شكسبير مخاطبًا أنصاره:

ولَم يُطْلِقوا في يَوْمِ ذِكْراهُ مِدْفَعا	∴	ولَم يُزْهِقُوا نَفْسًا ولَم يتَقحَّمُوا (١)

ومن هذه التعبيرات أيضًا قوله:

تصويب نبلة (ص١٣٠)، تصويب مدفع (ص١٣٠)، نغني بأرماح وبيض وأدرع (ص١٣٠)، قُنْبُلة الوبال (ص٢١١)، لا يغمدون السيف أو يظفروا (ص٣٢٥)، عجز الرماة (ص٤٠٠).

*وأيضًا من التراكيب والعبارات ذات الدلالة العسكرية التي جاءت بديوانه في قصائد المدائح والتهاني والأهاجي الواردة لديه :

*تلك العبارات الواردة في القصيدة التي نظمها لتهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة [٢] فيقول:

نَبْلَةٍ نَرْمِي بها، إنّ العَدوّ سِلَاحه مَفْلُولُ، أسطولنا الحق، جيشنا الحجج، حربنا التدليل، الحرب تذكيها قنا وصوارم، شاكي السلاح مدجج، صارم.

---

(١) ديوانه ص٧٣.

(٢) ديوانه ص١٠٩.

*ويقول في تهنئة قدمها إلى حفني بك ناصف:

إنْ رَشَّحوكَ فأنتَ مِنْ بَيْتٍ رَمَى	∴	بسِهامِه عَنْ حَوْزَةِ(١) الأَوْطانِ (٢)

*وقوله في تحية لجمعية المرأة الجديدة:

وقَفْتُنَّ في وَجْهِ الخَمِيس مُدَجَّجًا	∴	وكُنْتـــنَّ بالإيـــمَانِ مُعْتَصِـــمات
وما هَالَكُنَّ الرُّمْحُ والسَّيْفُ مُصْلَتا	∴	ولا المِدْفَعُ الرّشاشُ في الطُّرُقات(٣)

*وقوله في تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني:

خَمسونَ عاما فِي الجِهادِ كِلاهُما	∴	.....(٤)

ويقول في القصيدة ذاتها:

يُزْهى مُدَجّجُنا برُمْحٍ واحدٍ	∴	.....(٥)

*ويقول في الأهاجي أبيات تحت عنوان/ في عيّاب كثير العيوب:

أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عاريًا	∴	يَبْغِي نِزالَ الدَّارِعِينَا (٦)

*ومما يسترعي الانتباه ظهور النزعة العسكرية بألفاظها والعبـــارات الدالة عليها حتى في غزله ومن ذلك قوله:

---

(١) حوزة الأوطان: أي ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها. ديوانه ص١١٨.

(٢) ديوانه ص ١١٨

(٣) ديوانه ص ١٣٢

(٤) ديوانه ص ١٥٤

(٥) السابق الصفحة ذاتها.

(٦) ديوانه ص١٥٩.

*في جُنْدِيٍّ مليح:

ومِنْ عَجَبٍ قد قَلَّدُوكَ مُهَنَّدًا	∴	وفي كلِّ لَحْظٍ منكَ سَيْفٌ مُهَنَّدُ
إذا أنت قد جَرَّدْتَه أَوْ غَمَدْتَهُ	∴	فَتَلْتَ به واللَّحْظُ لا يَتَعَمَّدُ (١)

*ويقول فيها أيضًا:

.....	∴	فقُمْ نَلْتَمِسْ للسُهْدِ دِرْعًا مِن الصَّبْرِ (٢)

*ويقول في أبيات يتغزل في مليح ويعرض باحتلال الإنجليز:

.....	∴	لو أنّ في أَسْيافِنا لَحْظَكا (٣)

*وبالنظر في القصائد التي جاءت في ديوانه متناولة غرض الاجتماعيات نجد كثير من العبارات العسكرية منها:

ما جاء في حديثه عن قيمة دور المرأة وأهميته في بيتها ويؤكد على أنه لا يقل عن دور الفارس في الحرب فيقول في القصيدة التي أنشأها للحث على تقديم الإعانة لمدرسة البنات ببورسعيد:

في دُورهِنّ شؤُونُهُنَّ كَثيرةٌ	∴	كشُؤُون رَبِّ السَّيْفِ والمِزْراقِ(٤)

*ويقول في قصيدته/ ملجأ رعاية الأطفال:

وهى حَرْبٌ على البَخيلِ وذِى البَغـ	∴	ـي وسَيْفٌ على رِقابِ اللِّئام (٥)

(١) ديوانه ص٢٤٧.
(٢) ديوانه ص٢٤٧.
(٣) ديوانه ص٢٤٧.
(٤) ديوانه ص٢٨٢.
(٥) ديوانه ص٢٨٦.

*ويقول في قصيدة/ جمعية الطفل التي ألقاها في الحفل الذي أقامتــه هذه الجمعية:

ورِجالُ الإسْعافِ أَنْبَلُ. لولا	∴	شَهْوَةُ الحَرْبِ. مِنْ رجال القتال (١)

*ويقول في غلاء الأسعار:

يَمْتَطُون الخُطُوبَ في طَلَبِ العَيـ	∴	ـش ويَبْرُونَ للنِّضَال السِّهاما (٢)

*وأيضًا من تلك التراكيب والعبارات العسكرية ما نجده عند النظر في القصائد التي نظمها في غرض الرثاء بجانب الأغراض السابقة، فنجده غالبًا ما يستعين بالبطولات العسكرية للمرثي كوسيلة لرثائه، ومنها قوله في:

*رثاء الملكة فكتوريا حيث أشاد بانتصاراتها في الحروب[٣] ومن ذلك قوله:

وذَرَّيْتِ المَعاقِلَ في الهَواء.

* ورثاء محمود سامي البارودي باشا[٤] ومن ذلك قوله:

.....	∴	يا فارِسَ الشِّعْرِ والهَيْجاءِ والجُود

* وفي رثاء مصطفى كامل باشا يقول:

سَتَشْهَدُ في التاريخ أنّك لَم تَكُنْ	∴	فَتى مُفْرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازيًا (٥)

(١) ديوانه ص ٣١٢
(٢) ديوانه ص٣١٧.
(٣) ديوانه ص٤٥١.
(٤) ديوانه ص٤٥٣.
(٥) ديوانه ص٤٦٥.

*ويقول في رثاء رياض باشا:

مضَاءٌ وإقْدَامٌ وحَزْمٌ وعَزْمَةٌ	∴	مِنَ الصّارِمِ المَصْقُولِ أَمْضَى وأَقْطَع (١)

*ويقول في رثاء الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد:

له صَرِيرٌ إذا جَدَّ النّزالُ به	∴	يُنْسِي الكُماةَ صَلِيلَ البِيضِ والقُضُبِ (٢)

*ويقول في رثاء جورجي زيدان:

وعَزْمًا شَامِيًا له أيْنَما مَضَى	∴	شَبَا هِنْدُوانِيٍّ وحَدُّ يَمانَي (٣)

*ويقول في رثاء محمد فريد بك:

وحُسامًا فَلَّ حَدَّيْه الرَّدَى	∴	..... (٤)

*ويقول في رثاء محمد عاطف بركات :

ساهد(٥) الرأي، نائمُ الحقدِ، لاهٍ	∴	عن مَلاهي الوَرَى، عفيف المقال
قد جَلا سيفَ عَزْمِهِ صَيْقَلُ الـ	∴	ـنفي، فَأَرْبَى على السيوفِ الصِّقال
ونَمَتْ رَأيَه التّجارِبُ حتى	∴	بَاتَ أَمْضَى من نَافِذاتِ النِّبَالِ (٦)

(١) ديوانه ص٤٨٢.
(٢) ديوانه ص٤٨٧.
(٣) ديوانه ص٤٩٩.
(٤) ديوانه ص٥١٢.
(٥) السهد: خلاف النوم. مقاييس اللغة (س ه د).
(٦) ديوانه ص٥٧٦.

الاستنتاج:

بعد النظر في ديوان الضابط حافظ إبراهيم، وبعد تلك النماذج تأكد لنا أن مهنته العسكرية أثرت على استعمالاته اللغوية، فمن خلال معايشته للبيئة العسكرية تكونت لديه حصيلة لغوية عسكرية أصبحت جزءً أصيلًا من أدواته الشعرية والتي يستعين بها على اتقانه، فجاء شعره ممزوجًا بتلك الروح العسكرية، التي أصبحت علامة مميزة لشعره، وبذلك نستطيع الجزم بأن الاستعمال اللغوي يختلف تبعًا لاختلاف المستوى المهني.

المبحث الثالث

ناجي وأثر مهنة الطب في استعمالاته اللغوية

توطئة عن الشاعر:

الشاعر الطبيب/ إبراهيم ناجي «حصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٢٣م وعمره أربع وعشرون سنة، وأصبح طبيبًا مرموقًا بين الشباب وبالرغم من موهبته الشعرية وميوله الأدبية إلا أنه تفوق في مجال الطب بل مزج بعبقريته بينهما فنراه يقول عن هذا " أخذت أدرس الطب على طريقة فنية، فقد كنت أبتدع لرفاقي الصور، وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ، وظللت كذلك إلى الساعة التي أكتب فيها هذا، أزاول الطب كأنه فن، وأكتب الأدب كأنه علم، أي: أرعي فيه المنطق والتحديد والوضوح." وافتتح عياده في القاهرة ونجح فيها. وظل الأدب هوايته المفضلة وبدأ يمطر الصحف والمجلات بأحاديثه ومقالاته وبقصائده ومقطوعاته.. وإذا هي شيء جديد، شعر وجدي يحمل في طياته بذور نزعات إنسانية وتأملات فلسفية في طبيعة الحياة والكون، فهو روح هائمة وقلب حساس يفيض بالشعور والألم هذا الشعور الذي لم يفارق قلب الطبيب الشاعر حتى في احدى الفترات الصعبة التي مرت به وهو يؤدي فحصًا في المشرحة.»[(١)] عين طبيبًا في مصلحة السكك الحديدية. ثم نقل إلى وزارة الصحة فوزارة الأوقاف، وانتسب إلى جمعية أبولو سنة ١٩٣٢م، وكانت حياته حافلة بالروح الإنسانية، وبراءة النفس والطوية.[(٢)]

---

(١) ديوان إبراهيم ناجي، ص٣٤١، دار العودة، بيروت، ط ١٩٨٠م. (بتصرف)

(٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ص ٦٦١، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

وبالنظر في ديوانه نجد ما يؤكد تأثر موهبته الشعرية واللغوية بمهنته، فلقد حوى شعره الكثير من الألفاظ والتراكيب والعبارات الطبية التي تعكس بوضوح طبيعة مهنته، فلقد عاش لهذه المهنة وعاش بها فاستخدم في شعره كثيرًا من الألفاظ التي يكثر استخدامها في محيط مهنته كما سبق وأشرت في المقدمة، ومما يؤكد ذلك الوصف الذي وصف به شعره في ديوانه حيث قال: «هو البلسم داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة»[١]

وفيما يلي سنشير لبعض المواضع التي جاء استخدام هذه الألفاظ فيها، التي تعكس مدي تأثره بمهنته الطبية في استعمالاته اللغوية داخل أشعاره، بالإضافة لبيان سبب نظم بعض القصائد والذي نجده سببًا مرتبطًا بالمرض والحياة والموت في كثير منها، وذلك يتضح من خلال عناوين القصائد، وأيضًا الإشارة لبعض التراكيب اللغوية التي توحي بالمرض وما يتبعه من ألم ووجع وشفاء وغير ذلك من الأمور المتعارف عليها في البيئة الطبية.

أولًا: قصائد ديوانه بين العنوان وسبب النظم:

برزت نزعة الطبيب الذي يعيش معاناة المريض وما بها من ألم وما يتبعه من شفاء أو موت في قصائده من خلال عناوينها ومنها:

*قصيدة بعنوان: الميت الحي.

كتبها عندما كان مريضًا وشعر أنه ينتهي. [٢]

---

(١) ديوانه ص١١٧.

(٢) ديوانه ص٣٣.

* وقصيدة بعنوان: ليالي الأرق. (١)

*وقصيدة بعنوان: وداع المريض .

كتبها لمريض عزيز سهر عند سريره يعتنى به، وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه بهذه القصيدة.(٢)

*وقصيدة بعنوان: المآب، قالها عندما خرج من مصر مريضًا، ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازتين، فلما أشرفت السفينة على بور سعيد استقبل مصر بهذه الأبيات، التي منها قوله:

خرجت من الديار أجرُّ همي	∴	وعدتُ إلى الديار أجرُّ ساقي(٣)

*وقصيدة بعنوان : شفاء ... وشفاءْ

يقول فيها:

إن يكن مظهر يا زيـ	∴	ـنب ربّ المعجزات
مِبْضعٌ يأسو ويشفي	∴	في الأكف الشافيات
. . .	∴	. . .
إنه يَشفي... وتَشفِي	∴	زينبُ بالبسمات (٤)

تلك بعض القصائد التي تعكس معايشته لمهنته وتأثره بها في أشعاره، حيث نظمها في لحظات عايش فيها مهنته الطبية، وما تذخر به من

(١) ديوانه ص٤٦.
(٢) ديوانه ص٨٤.
(٣) ديونه ص١٥١.
(٤) ديوانه ص٣٢١.

معاناته مع الأسقام والأوجاع البشرية، فتفتق عن تلك البيئة أشعار بلغت عنان السماء في الروعة والجمال.

ثانياً: المواد اللغوية التي تشير لمستواه المهني :

كما سبق وأشرت تكرر لدى الشاعر ألفاظ عدة لمواد لغوية جرت العادة على استخدامها في البيئة الطبية التي تضم الطبيب والمريض والتي تدور حول الأسقام وما يتبعها من التعبير عنها ــ من المريض ــ والتشخيص لها ــ من الطبيب ــ وغير ذلك من الأمور المتعارف عليها في تلك البيئة الطبية، وفيما يلي بيان بتلك المواد مع الإشارة لعدد مرات ورودها بصورة تقريبية ــ وذلك بسبب كثرة النماذج في ديوانه الدالة على الظاهرة المدروسة فلن يتسع المجال لذكرها كلها هنا ــ حتى أثبت من خلاله مدي تأثر الشاعر بمهنته الطبية في ديوانه واستعمالاته اللغوية.

وفيما يلي جدول لهذه المواد مع بيان عدد مرات تكرارها والإشارة لبعض صورها كل بصفحته في الديوان وسأتبع ذلك الجدول بذكر بعض النماذج الشعرية لها من ديوانه :

المادة	كررت	من صورها والصفحة	المادة	كررت	من صورها والصفحة
أ ل م	٢٦	آلامي (ص ٧٦، ٧٨،) الآلام (ص ٧٨، ١١٩ ، ١٨٥،) آلام (ص ٨٤، ١٤٩، ٢٤٢، ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٩٦)الألم (ص ٩٨، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٨، ٢٨٧) ، ألمي (ص ١٣٦، ١٣٨ ، ١٦٠،)، آلم (ص ١٧٨ ، ١٧٩،)، المتألم (ص٢٩٧)	أ ن ن	١٧	الأنين(ص٤٠، ٤١، ١٢٤، ٢٢٤، ٢٨٠) يئن (ص٤١) أنّة (ص٧٢) أنات (ص٩٨، ٣٢٣) أنينه (ص١٠٧) أنيني (ص١١٢) أنات (ص ٢٨، ٢٦٨)
أ و ه	٣٢	آه (ص ٣٣، ٣٤، ٧٤، ٩١، ١١١، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٧٨، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٢،	ب ر أ	٥	ذكرت الصور والمواضع ضمن النماذج الشعرية التالية لهذا الجدول لقلة

		٢٥٣، ٢٥٦، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٢٠) آواه (ص٣٨) آهـــة (ص ٤١)آهـــات (ص٩٨)، واها (ص١٠٥) آها (ص ١٦٨).			عددها.
د و ي	١٥	الداء (ص١٦٢، ١٦٤، ١٧٢، ١٨٢، ٢٢٨، ٢٥٠، ٢٦٤) داويـــت (ص١٧٣) دواؤه (ص٢٥٠) دوائـــي (ص ٢٨١) داوي (ص٢٨١)، يداوي (ص٢٨٦).	س ق م	١٦	مســـقم (ص ٨٧) ســـقم (ص١٠٨، ٢٧٢) الســـقم (ص١٢١، ١٧٢، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٦٦، ٢٦٧) الاســـقام (ص١٧٧، ٢٨٧) ســـقمي (ص٢٤٣)السقام (ص٢٥٠)
ش ف ي	٢١	شـــفانا (ص٧٤) الشـــفاء (ص ١٦، ٦٥، ٨٧، ١٥٨، ١٧٩، ٢٦٤) شـــفا (ص١٥٨، ٢١٧) شـــافي (ص١٦٤) شـــفى (ص١٧٨) يشـــفها (ص١٧٩) شـــفاها (ص١٧٩) شـــفيت (ص١٨٢) يشـــفي (ص٢٧٥، ٢٨٦، ٣٢١) تشفي (ص٣٢١)	ض م د	٤	ضـــماد (ص١٥٧) ضـــمدي (ص٢٤٢)
ض ن ي	٩	يضـــني (ص١٦) أضـــنى قـــواه (ص٦٦) الأســـى المضـــني (ص٨٢) هـــدم الضـــنى (ص٨٤) غربة مضنية (ص١٧٨)	ع ل ل	٧	عليـــــل (ص ١١٣، ١٦٦، ١٨٢) العليلة (ص٢٨٦)
ع ي ي	٣	ذكرت الصور والمواضع ضمن النماذج الشـعرية التاليـة لهـذا الجـدول لقلـة عددها.	١١	١٥٥	

ومن المواضع التي جاء ذكر هذه المواد فيها في ديوانه ودلت علـــى استخدام طبي:

*استخدم مادة (أ ل م) التي تدل على الوجع[١] في ديوانه في مواضع متعددة منها:

(١) ينظر: مقاييس اللغة (أ ل م).

قوله في قصيدة/ العودة:

.....	∴	وفَرَغْنَا مِن حنينٍ وألَم (١)

ويقول في قصيدة/ ليالي الأرق:

.....	∴	ويلذُ لي فِيه الألمْ (٢)

ويقول في قصيدة/ مناجاة الهاجر:

.....	∴	فقد تبتُ عن ذنبي إليك بآلامي! (٣)

*استخدم مادة (أ ن ن) والتي يشتق منها الأنين وهو: صوت بتوجع(٤) في ديوانه في مواضع متعددة منها:

قوله في قصيدة / ساعة لقاء:

وحنيني في أنينٍ غير فانٍ	∴	..... (٥)

ويقول في قصيدة/ الحنين:

.....	∴	ويئن فيه أنينَ مطعون (٦)

ويقول في قصيدة/ تحليل قبلة

.....	∴	وأنَّ من الكتمان أيٌ أنينِ (٧)

(١) ديوانه ، ص١٣.
(٢) ديوانه ص ٤٦.
(٣) ديوانه ص٥٤.
(٤) ينظر: مقاييس اللغة (أ ن ن).
(٥) ديوانه ص١٠.
(٦) ديوانه ص١٦.
(٧) ديوانه ص١٩.

*استخدم مادة (أ و ه) وهي تدل على التوجع حيث جاء فيها أن: «آه حكاية المتأوه في صوته وقد يفعله الإنسان من التوجع»[١] في ديوانه في مواضع متعددة منها:

قوله في قصيدة/ ساعة لقاء:

آهِ من ساعةِ بثٍّ وشجونْ(٢)	∴	..... (٣)

ويقول في قصيدة/ العودة:

آه مما صنع الدهرُ بنا	∴	..... (٤)

ويقول في قصيدة/ هجاء أعمى بغيض زوج حسناء:

آه من قسوة الطبيعة شقت	∴	..... (٥)

*استخدم مادة (ب ر أ) التي تدل في أصل وضعها على الخلق، والسلامة من السقم، يقول فيها ابن فارس: «(برأ) فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق، يقال: برأ الله

---

(١) كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (أ و ه) تح/ د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.

(٢) البث والشجن: الحزن. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدى، (ب ث) و (ش ج ن). تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٣) ديوانه ص١٠.

(٤) ديوانه ص١٤.

(٥) ديوانه ص٦٧.

الخلق يبرؤهم برءا... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، من ذلك البرء وهو السلامة من السقم.» في ديوانه في مواضع عدة منها:

قوله في قصيدة/ عينان:

.....	∴	إن الـــذي في يديـــه الـــبرءُ مـــا علمـــا
وكيـف يـبرئني مـن لسـت أسـأله	∴	بـرءًا وأوثـر فيـه السـهد(١) والسـقما (٢)

ويقول في قصيدة/ في ظلال الصمت :

.....	∴	آسيا يبرئ لي الجرح الدفينا (٣)

يقول في قصيدة/ ظلام :

برئت نفسي من الحقد ولم	∴	..... (٤)

يقول في قصيدة/ القمة :

بَرِئْتَ من هذي الوهادِ (٥) التي	∴	..... (٦)

*استخدم مادة (د و ي) والتي يشتق منها الداء: وهو من المـــرض، والدواء[٧] في ديوانه في مواضع متعددة منها:

---

(١) السهد: الأرق. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (س هـ د).
(٢) ديوانه ص٢١٠.
(٣) ديوانه ص٢٤١.
(٤) ديوانه ص٢٥٤.
(٥) الوهاد: جمع وهدة، وهي الأرض المنخفضة. ينظر: المعجم الوسيط (و هـ د).
(٦) ديوانه ص٢٦٨.
(٧) ينظر: مقاييس اللغة (د و ي) .

يقول في قصيدة المآب:

.....	∴	**ألقاك بالداءِ الدفين جهولا** (١)

ويقول في قصيدة / الميت الحي:

داوِ نـاري والتيـاعـيْ (٢)	∴	..... (٣)

ويقول في قصيدة/ الحنين:

.....	∴	**إلا أضاليل تـداويـني** (٤)

***استخدم مادة (س ق م) في ديوانه عدة مرات منها:**

يقول في قصيدة/ مناجاة الهاجر:

.....	∴	**وما بعد سقمي فيك عامًا على عامِ** (٥)

ويقول في قصيدة/ قميص النوم:

.....	∴	**جسمي من السقم منها أيُّ جلباب** (٦)

ويقول في قصيدة/ الغد:

.....	∴	**إذ يطوف الخلدَ سقمي ودماري** (٧)

---

(١) ديوانه، ص٩.

(٢) التياعي: العجز. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (ع ي ي).

(٣) ديوانه ص٣٣.

(٤) ديوانه ص١٦.

(٥) ديوانه ص ٥٥.

(٦) ديوانه ص٥٩.

(٧) ديوانه ص٦١.

*استخدم مادة (ش ف ى) التي تدل على غلبة المرض كما يقول ابن فارس فـ «(شفي) الشين والفاء والحرف المعتل يدل على الإشراف على الشيء ؛ يقال أشفى على الشيء إذا أشرف عليه. وسمي الشفاء شفاء لغلبته للمرض وإشفائه عليه.»[(١)] في ديوانه في مواضع متعددة منها:

يقول في قصيدة/ المآب:

.....	∴	يشفي أوامًا(٢) أو يبل(٣) غليلًا (٤)

ويقول في قصيدة / الميعاد:

.....	∴	قتالة لم تشفَ في بلدٍ ! (٥)

ويقول في قصيدة/ الغد:

أشتهي ضَمَّكَ حتى أشتفي	∴	.....(٦)

وهناك مواضع أخرى جاء فيها ذكر مادة (ش ف ي) فيقول:

شفانا (ص٧٤)، الشفاء (ص ١٦، ٦٥، ٨٧، ١٥٨، ١٧٩، ٢٦٤)، شفا (ص١٥٨، ٢١٧)، شافي (ص١٦٤)، شفى (ص١٧٨)، يشفها

---

(١) مقاييس اللغة (ش ف ي).

(٢) الأوام: حرارة العطش. ينظر: المعجم الوسيط (أ و م)

(٣) بله بالماء: ما يبل به الحلق. ينظر: القاموس المحيط (ب ل ل)، والغليل: شدة العطش وحرارته والغيظ . ينظر: المعجم الوسيط (غ ل ل).

(٤) ديوانه ص٨.

(٥) ديوانه ص٣٢.

(٦) ديوانه ص٦١.

(ص١٧٩)، شفاها (ص١٧٩)، شفيت (ص١٨٢)، يشفي (ص٢٧٥، ٢٨٦، ٣٢١)، تشفي (ص٣٢١).

*استخدم مادة (ض م د) في ديوانه وهي كما جاء في العين تستخدم للمداواة، يقال: «ضمدت رأسه بالضماد : وهو خرقة تلف على الرأس عند الادهان [والغسل ونحو ذلك] وقد يوضع على الرأس من قبل الصداع يضمد به.»(١) ومن هذه المواضع:

قوله في قصيدة/ أغنية في هيكل الحب:

لا الدجى(٢) ضمَّد جرحيـ	∴	.....(٣)

ويقول في قصيدة/ في يوم الشباب:

.....	∴	بأساء قد جئنا بكل ضمادِ(٤)

وجاءت تلك المادة في مواضع أخرى في ديوانه وهي: ضماد (ص١٥٧)، ضمدي (ص٢٤٢).

*استخدم مادة (ض ن ى) في ديوانه:

ومن دلالتها اللغوية الدلالة على المرض، يقول ابن فارس فيها: «(ضنى) الضاد والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان، أحدهما يدل على مرض، والآخر يتردد بين مهموز وغيره، ويدل ذلك على شيئين: إما أصل

(١) كتاب العين (ض م د).
(٢) الدجى: سواد الليل وظلمته. المعجم الوسيط (د ج ى).
(٣) ديوانه ص٧٤.
(٤) ديوانه ص٩٤.

وإما نتاج، والأصل والنتاج متقاربان. فالأول الضنى في المرض، يقال: ضني يضنى ضنى شديدا، إذا كان به داء مخامر، كلما ظن أنه قد برأ نكس. وأضناه المرض يضنيه.»[١] ومن مواضع ذكرها في ديوانه:

يقول في قصيدة المآب:

.....	∴	مضناكَ بين العائدين عليلا (٢)

وأيضًا في القصيدة ذاتها يقول:

.....	∴	إلا ضنى متتابعًا ونحولا (٣)

ويقول في قصيدة/ الجمال الضنين:

.....	∴	أعيا خيالي وأضناني توقَّعُه؟! (٤)

*استخدم مادة (ع ل ل) في ديوانه ومن معانيها الدلالة على المرض، يقول فيها ابن فارس: «(عل) العين واللام أصول ثلاثة صحيحة: أحدها تكرر أو تكرير، والآخر عائق يعوق، والثالث ضعف في الشيء...والأصل الثالث: العلة: المرض.»[٥] ومن مواضعها في قصائده:

يقول في قصيدة المآب:

يا أيها الملك العليل أفقْ تجدْ	∴	مضناكَ بين العائدين عليلا (٦)

(١) مقاييس اللغة (ض ن ى)
(٢) ديوانه ص٨.
(٣) ديوانه ص ٩.
(٤) ديوانه ص٤٥.
(٥)مقاييس اللغة (ع ل ل).
(٦) ديوانه ص٨.

في قصيدة الميعاد يقول:

وطليحَ(١) أسفارٍ وعلَته	∴	..... (٢)

ويقول في قصيدة/ من شعر الصبا:

فالحبُّ آسيه وراء عليله	∴	..... (٣)

*استخدم مادة (ع ي ي) في ديوانه في مواضع عدة منها:

والْإِعْيَاءُ: عجز يلحق البدن من المشي، والْعِيُّ. عجز يلحق من تولّي الأمر والكلام... وداء عَيَاءٌ: لا دواء له.(٤)

يقول في قصيدة/ الحياة:

أريحُ أقدامًا وهتْ من عياءْ	∴	..... (٥)

يقول في قصيدة/ في الظلام:

.....	∴	وعدت إلى الإعياء والسقم والوجد(٦)

(١) وناقة طليح أسفار: إذا جهدها السير وهزلها. ينظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ط ل ح)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٢) ديوانه ص٣٢.

(٣) ديوانه ص١٠٨.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، (ص٦٠٠) تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١ – ١٤١٢ هـ.

(٥) ديوانه ص ٢٠.

(٦) ديوانه ص١٢١.

يقول في قصيدة/ السراب على البحر:

.....	∴	وكيف ينهض بالمجروح إعياء (١)

*ومن الألفاظ التي جاءت ضمن المصطلحات الطبية والتي جاءت في ديوان إبراهيم ناجي:

الذبول: زوال الطفح في الأمراض الطفحية[٢] ذلك بالنسبة للتخصص الدقيق، وبالنظر للفظ بصورة عامة تراه يوحي بالضعف والوهن عامة.

يقول في قصيدة المآب:

لمن العيون الفاترات ذبولا	∴	..... (٣)

*ومن المصطلحات التي تستخدم في الطب لتأكيد انتهاء الشيء والحياة، الموت: توقف الحياة بلا رجعة[٤] تراه يستخدمها في ديوانه، فيقول في قصيدة ساعة لقاء:

يقول في قصيدة المآب:

كيف يبلى يا حبيبي أو يموت ما طبعناه	∴	..... (٥)

(١) ديوانه ص١٦٤.
(٢) معجم المصطلحات الطبية ١٢/٢.
(٣) ديوانه ص٨.
(٤) معجم المصطلحات الطبية ٦/٢.
(٥) ديوانه ص ١١.

الثالث: **التراكيب والعبارات** التي تعكس تأثره بمهنته ومعايشته للأسقام التي تنتهي إما بالبرأ منها أو انتهاء الحياة بها ومنها:

*قوله في قصيدة الميت الحي:

قفْ تأمل مغرَبَ العمـ	∴	ـر وإخفاقَ الشعاع (١)

ومثل ذلك الترقب لانتهاء الحياة أكثر ما يكون في حياة الأطباء حيال مرضاهم، حال احتدام المرض وتفشيه ــ شفى الله كل مبتلى ــ .

*ويقول في قصيدة يوم الشباب:

قل للذي يبغي الصلاحَ لقومهِ	∴	بنبيل صنعٍ أو شريفِ جهادِ
بالطب أو بالشعر أو بكليهما	∴	كل الجهود فداءُ هذا الوادي(٢)

تراه ينتصر للطب ويضعه في منزلة الجهاد وغيره من الأعمال النبيلة التي تهدف لإصلاح البلاد والعباد .

ويقول في القصيدة ذاتها:

يا أيه الوطن الجريح وجرحه	∴	بصميم كل حشاشة وفؤاد
صبراً فنحن أساتك الرحماء في الـ	∴	ـبأساء قد جئنا بكل ضماد (٣)

يخاطب الوطن كما لو أنه مريض يطلب الدواء، فيجبه بنعم سنأتيك بالضماد الذي يداوي جروحك.

---

(١) ديوانه ص٣٣.

(٢) ديوانه ص٩٤.

(٣) ديوانه ص٩٤.

وفيها يقول أيضًا:

حيران من مرضٍ إلى بؤسٍ إلى	∴	كربٍ تمر به بلا تعدادِ (١)

نجده عندما ذكر مواطن ضعف الوطن بدأ بذكر المرض؛ لعلمه بمدى خطورة هذا الابتلاء.

*ننتقل بعد ذلك لنموذج آخر من التراكيب والعبارات التي تعكس تأثره بمهنته وذلك يتضح في غرض الرثاء لديه، وبالنظر فيه تجده يتحدث عن الآلام والأسقام التي تفني المرثي ومن ذلك:

*قوله في قصيدة: هبة السماء، التي ألقيت في حفلة تأبين المرحوم أحمد شوقي بك بمسرح الأزبكية.(٢)

ويحَ الذكاءِ وما يكلِّـ	∴	ـفُهُ من الثَّمَنِ الذَّكاءْ!
أضنى قواه ولم يدْع	∴	من جسمه إلاَّ ذماءْ
والمجد يوغل في حنا	∴	يا، روحه والمجدُ داءْ! (٣)

تراه يصرح بأن الذكاء أصاب شوقي بالداء فأضناه، وكذا المجد فكليهما يعد داءً لديه.

*قوله في قصيدة: إلى روح شاعر، التي ألقيت في حفل ذكرى الشاعر المرحوم طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤م.(٤)

---

(١) ديوانه ص٩٥.
(٢) ديوانه ص٦٥.
(٣) ديوانه ص٦٦.
(٤) ديوانه ص٩٧.

أيهـــا المـــعهد الـــذي	∴	بلـــغ المجـــدَ واستتـــم
كـــل لـــحنٍ مذكـــرٍ	∴	أشـــعل القلـــب فاضـــطرم
نظـــمته يـــدُ الأســـي	∴	وقَّعتـــه يـــدُ السقـــمْ
وأناشيدكـــم ومـــا	∴	صـــاغه الفـــنُّ مـــن عِظـــمْ
هـــي أنّـــاتُ أنفـــسٍ	∴	بالمقاديـــر ترتـــطم
وصـــبابـاتُ أعـــينٍ	∴	يشهـــد اللـــيل لَـــم تـــنمْ
وأغـانيكـــم الـــتي	∴	هـــي فـــي قـــمةِ القـــمَمْ
هـــي آهـــاتُ شـــاعر	∴	عـــرف الحـــبَّ والألمْ!(١)

يصّف هنا حالة هذا الشاعر وما مرَّ به من سقم وألم وأنـين أثنـاء كتابة القصائد التي نالت الإعجاب، وشهدت بتميزه الشعري.

*ويقول في رثاء الدكتور/ عبد الوحيد الوكيل وزير الصحة:

أنتَ الطبيبُ وقد بلوت حياته	∴	ومجالها الأوجاعُ والاسقامُ(٢)

نجده يلخص حياة الطبيب بكونها مفعمة بالأوجاع والأسقام.

*ويقول في رثاء الشاعر محمد الهروي مادحًا جلده ومقابلـة الألـم النفسي بالكبرياء:

كلمـا آلمـك الجـرح فأحـ	∴	ـسست به لطفته بالكبرياء(٣)

(١) السابق الصفحة ذاتها.

(٢) ديوانه ص١٧٧.

(٣) ديوانه ص١٧٨.

*ويقول فيها أيضًا مؤكدًا على حقيقة انتهاء الألم بالموت:

برم العيش بها لم يشفها	∴	وتولى الدهر سأمان وجاء
أذن الموت لها فالتأمت	∴	وشفاها بعدما استعصى الشفاء(١)

بالنظر في النماذج السابقة للرثاء نجده يأخذ من الأسقام مادة لمدح المرثي؛ حيث إنه يرينا كيف أصيب بتلك الأسقام، والآلام، وكيف تعامل معها بجلد وصبر.

*وبالانتقال لغرض الحب والغزل نراه يكرر ذكر ما يتسبب عن الهوى من إلحاق الأسقام بالمحبين، وبيان الدواء الشافي منها وهو قرب المحبوب فهو الداء والدواء معًا ومن ذلك :

*قوله في قصيدة: أصوات الوحدة

فالحبُّ آسيه وراء عليله	∴	فيهم، وبلسمه على ما يجرحُ(٢)

فيؤكد كون الحب هو الداء والبلسم معًا.

وفيها أيضا يقول:

فتكسرت قدح المنى ورجعتُ من	∴	سقم الهوى وهزاله أترنح(٣)

يصف حال الخاسر في الحب وما يصاب به من الأسقام والهزال؛ فيترنح ضعفًا من هول ما أصابه .

(١) ديوانه ص١٧٩.
(٢) ديوانه ص١٠٨.
(٣) السابق الصفحة ذاتها.

*ويقول في قصيدة/ في الظلام

بحبكِ استشفي فكيف تركتني	∴	ولم يبق غير العظم والروح والجلد (١)

نراه جعل الحب شفاء للأسقام.

ويقول في قصيدة/ الاطلال:

وإذا ما التام جرحٌ	∴	جد بالتذكارِ جرحٌ (٢)

جعل الحب جرحًا، يلتئم حينًا ويتجدد حينًا آخر بالذكريات فيعاود النزيف.

ويقول في قصيدة/ نأى عني

آه يا هند جراحي كثُرَت	∴	فتعالْي ضمدي أنتِ جروحي ! (٣)

جعل من قرب المحبوبة ضمادًا لجروحه.

ويقول في قصيدة / قصة حب:

والعمرُ سارَكأنه العدمُ	∴	سقمي به عندي كعافيتي(٤)

حيث تساوت لديه المتناقضات وصار العمر كالعدم، والسقم كالعافية فلا قيمة لشيء في نظره حال الشقاء في الحب.

---

(١) ديوانه ص١٢١.

(٢) ديوانه ص١٣٩.

(٣) ديوانه ص٢٤٢.

(٤) ديوانه ص٢٤٣.

*ويقول في بقية القصة (قصة حب)

فإذا النوى طالت على وشفَّنِي	∴	جرحي وعاد لهجتي يدميها
. . .	∴	. . .
آمنت بالحب القوي وحتمه	∴	ما من هواي ولا هواك مناص
إن كان داءً فالسقامُ دواؤه	∴	أو كان ذنبًا فالمآب قصاص! (١)

ومن حديثه في الحب في قصيدة/ أطلال:

أيكون ذنبي أنني	∴	بك أحتمي من كل داءْ
وأراك عافيتي فأضْـ	∴	ـرُع طالبًا منكِ الشفاء (٢)

جعل محبوبته حصن الأمان له من كل داء، بل وجعلها عافيته وشفائه.

ويقول في قصيدة/ سر بي:

وأعلم أن حبي ليس يشفي	∴	..... (٣)

وهنا يأتي بتصور جديد للحب ؛ حيث يقر بأنه لا أمل له في الشفاء في ظل سيطرة الحب.

بالنظر في حديثه عن الغزل والحب جعل من بُعد المحبوبة داء ومن قربها الدواء.

---

(١) ديوانه ص٢٥٠.

(٢) ديوانه ص٢٦٤.

(٣) ديوانه ص٢٧٥.

*وينتقل من حب الأنثى إلى حب الوطن العربي:

فيقول في قصيدة/ في لبنان معبرًا عن حبه وألمه له

أشكو جوايَ إلى الروح التي احتضنتْ	∴	ناري وضَمَّتْ إلى أسقامَها سقمي(١)

حيث جعل من لبنان روحًا حانية تسمع شكواه وتحتضن آلامه، وتتكبد عناء سقمه عناية واهتمامًا، مع ما هي فيه من سقم وأوجاع.

ويقول أيضًا:

.....	∴	لكن أرقِّعُ جُرحًا غيرَ ملتئمِ (٢)

* وبالنظر في غرض الهجاء في ديوانه تجد النزعة الطبيـــة تغلـــب عليه فيهجو بالنظريات العلمية القائمة على التشريح من ذلك :

قوله في هجاء من اسمه عبد الحميد:

رجـل أرى بـــالله أم حَشَـــرَهْ	∴	ســبحان مــن بعبيــده حشَــرَه
يـا فخـر داروين ومذهـبه	∴	وخلاصــة النظريــة القــذرة
أرأيت قردًا في الحديقة قـد	∴	فلــت أنثـــاه علـــى شجـــرهْ ؟
عبد الحميد اعلم فأنت كذا	∴	مـا قـال داروين ومـا ذكـرهْ (٣)

(١) ديوانه ص٢٨٧.

(٢) ديوانه ص٢٨٨.

(٣) ديوانه ص٢١٨.

فقد شبه هذا الرجل بالحشرة وزاد من تحقيره فشبهه بالقرد مؤيدًا ذلك بما ذكره دارون في نظريته الشهيرة بأن الإنسان أصله قرد وكأن دارون ابتدع هذه النظرية من أجل هذا المهجو .

*وتجده عندما يتحدث عن تقلبات الزمن وما تلحق بالإنسان من محن يشبهها بالمرض الذي يتمكن من الشخص فيفقده قواه، فيصبه بالهزال، ويقضي عليه، ولا سيما إذا طالت تلك المحن فخلفت الجروح العميقة التي تتمكن من الشخص، فيقول في قصيدة/ محنة:

وكأن أيامي التي	∴	من مصرعٍ ليست تفيق
وكأن موصولَ الضنى	∴	يَمْتاحُ(١) من جُرْحٍ عميقْ(٢)

*ونرى النزعة الطبية الهادفة لشفاء العلل والأمراض بادية في رباعياته من ذلك قوله:

شافية النفس وترياقُها	∴	مشتاقة أقبل مشتاقُها(٣)

ويقول فيها أيضًا:

كان إلى الله سبيلي وما	∴	كان إلى الإيمان دَرْبٌ سواه
وكان في جُرح الهوى بلسما	∴	وكان عندي منحة من إله (٤)

فذكر الجرح والبلسم دلالة على أن الهوى يمثل الداء والدواء معًا.

(١) يمتاح : من متح و (م ت ح) تدل على مد الشيء وإطالته. ينظر: مقاييس اللغة (م ت ح).
(٢) ديوانه ص ٢٩٩.
(٣) ديوانه ص ٣٠٨.
(٤) ديوانه ص٣٠٩.

ويقول في قصيدة/ تكريم:

والطب مرحمه الجسوم ونبعه	∴	من ذلك الفيضِ العلىِّ الشانِ(١)

فيشير هنا إلي أن الطب رحمة تتمثل في مداواة المرضى.

الاستنتاج:

بعد تلك القراءة الفاحصة لديوان إبراهيم ناجي، التي كان غرضها معرفة ما إذا كان قد تأثر بمهنته الطبية في استعمالاته اللغوية في أشعاره أم لا. نستنتج من خلال النماذج السابقة مدى تأثير المهنة في ألفاظ شعره ومادته اللغوية، وذلك بدا واضحًا في عناوين القصائد والألفاظ والتراكيب والعبارات التي تدل على تأصل هذه المصطلحات والألفاظ وتمركزها في عقلية هذا الشاعر الطبيب، وبذلك يمكن استنباط أن المستوى المهني له تأثير بيَّن في الاستعمال اللغوي، وحسب كل مهنة يختلف الاستعمال اللغوي لدى المتكلمين.

(١) ديوانه ص٣١٨.

المبحث الرابع

مقارنة بين عسكرية حافظ

وطبية ناجي وأثرهما في الاستعمال اللغوي

في هذا المبحث سنقوم بعقد مقارنة بين شعر حافظ وناجي لنرى ما إذا كان اختلاف المهنة له تأثير على الاستعمالات اللغوية الواردة في شعريهما أم لا، وذلك من خلال النظر في الألفاظ والتعبيرات اللغوية في ديوانيهما ومقارنتهما معًا، ومن خلال تلك الاحصائيات والنماذج نستطيع معرفة مدى تأثير المستوي المهني على الاستعمال اللغوي لدى المتكلم، وما إذا كان قد حدث تباين بينهما في الألفاظ والتعبيرات أم لا، ومدى ارتباط ذلك بالمهنة.

أولًا: مقارنة بين الألفاظ الواردة في ديوانيهما:

أ ــ الألفاظ العسكرية عند حافظ:

لقد تكررت في ديوان حافظ الألفاظ العسكرية بصورة كبيرة، حيث انعكست من خلالها طبيعة مهنته العسكرية حيث بلغت ما يقرب من أربع وثلاثين لفظة، كررت ما يقرب من ست وسبعين ومائة مرة، ومن هذه الألفاظ:

أسطول ــ أسنة ــ بنادق ــ بيض ــ جندي ــ جيش ــ حرب ــ حسام ــ خميس ــ درع ــ ذوابل ــ رمح ــ سهم ــ سيف ــ شبا ــ صارم ــ ظبا ــ غزى ــ فيلق ــ قنا ــ قنابل ــ قواضب ــ مدافع ــ مرّان ــ

مزراق ــ مسدس ــ معقل ــ مهند ــ موقعة ــ نزال ــ نصل ــ هيجــاء ــ الوغى ــ يمان .

وبعقد مقارنة بين حافظ وناجي بتتبع تلك الألفاظ عند ناجي نجده لــم يذكر منها إلا سبعة ألفاظ هي: (جيش ــ درع ــ سنان ــ سهم ــ سيف ــ غزي ــ فيلق) وفيما يلي مقارنة بين عدد ورودها لديهما:

الألفاظ	حافظ	ناجي	الألفاظ	حافظ	ناجي
جيوش	١٩	١	درع	٤	١
سنان	٢	١	سهم	٧	٢
سيف	٢٦	٢	غزى	٣	٢
فيلق	٣	١	مجموعها	٦٤	١٠

بالنظر في الجدول السابق نرى قلة الألفاظ العسكرية الــواردة لــدى ناجي فلم تزد على سبعة ألفاظ تقريبًا، من إجمالي أربع وثلاثين لفظة تقريبًا، وذلك يثبت تأثير المهنة على الاستعمال اللغوي لدى شاعرنا، ومــما يزيــد تأكيد ذلك التأثير زيادة مرات تكرار تلك الألفاظ المشتركة عند حافظ أكثر منه عند ناجي حيث تكررت عند حافظ في أربع وستين موضعًا، في حين لم تزد عند ناجي على عشرة مواضع.

ب ــ الألفاظ الطبية الواردة عند ناجي:

بالنظر في ديوان ناجي وكما سبق وأشرت نجد كثرة الألفاظ الطبية في ديوانه مقارنة بغيرها من الألفاظ، حيث تكررت فيما يزيد على خمسة وخمسين ومائة موضعًا في ديوانه، مما يبين شدة تأثره ببيئته الطبية وقوة معايشته لها، ومن هذه الألفاظ:

(ألم ــ أنين ــ آه ــ برأ ــ دوي ــ ذبول ــ سقم ــ شفي ــ ضمد ــ ضني ــ علّ ــ عيّ)

وعند عقد مقارنة بينه وبين حافظ حتى نرى ما إذا كان قد ذكر هذه الألفاظ في ديوانه نجده ذكر بعضًا منها وهي:

الألفاظ	ناجي	حافظ	الألفاظ	ناجي	حافظ
ألم	٢٦	٦	أنّ	١٧	٦
أوه	٣٢	١	برأ	٥	١
دوي	١٥	١٤	سقم	١٦	١٢
شفي	٢١	٩	ضني	٩	٣
علّ	٧	٣	مجموعها	١٤٨	٥٥

بالنظر في الجدول السابق نجد كثرة عدد تكرار الألفاظ التي تستخدم في البيئة الطبية عند ناجي بالنسبة لما عند حافظ، حيث بلغت في ديوان ناجي ثمان وأربعين ومائة لفظة تقريبًا، بينما لم تزد عند حافظ على خمس وخمسين لفظة تقريبًا، وذلك يثبت لنا تأثر الاستعمال اللغوي لدى المتكلم بالمهنة التي يعمل بها.

ثانيًا: مقارنة بين التعبيرات اللغوية المستخدمة في الأغراض المتفقة في ديوانيهما(الغزل ــ الرثاء ــ الهجاء):

في الجدول التالي سنرى كيف اختلفت التعبيرات لدى شاعرينا بالرغم من اتحاد الغرض الشعري، وذلك عن طريق سوق بعض النماذج الواردة في ديوانيهما للأغراض الثلاثة:

الغرض	إبراهيم ناجي	حافظ إبراهيم
الغزل والحب	فالحب آسيه وراء عليله، بلسمه على ما يجرح، رجعت من سقم الهوى وهزاله أترنح، بحبك استشفي، تعالي ضمدي أنت جروحي، أيكون ذنبي أني بكِ احتمي من كل داء، فاضرع طالبًا منكِ الشفاء.	في كل لحظ منك سيف مهند، إذا أنت جردته أو غمدته قتلت به، فقم نلتمس للسهد درعًا من الصبر، لو أن في أسيافنا لحظكا.
الرثاء	الذكاء أضنى قواه، المجد داء، كل لحن مذكر وقعته يد السقم، بلوت حياته ومجالها الأوجاع والأسقام، كلما آلمك الجرح فأحسست به لطفته بالكبرياء.	يا فارس الشعر والهيجاء والجود، كنت جيشًا مغازيًا، وعزمه من الصارم المصقول أمضى وأقطع، له صرير إذا جد النزال به ينسي الكماة صليل البيض والقضب، وعزمًا شاميًا له أينما مضى شبا هندواني وحد يماني، وحسامًا فل حديه الردى، قد جلا سيف عزمه، بات أمضى من نافذات النبال.
الهجاء	رجل أرى بالله أم حشرة، يا فخر داروين ومذهبه، وخلاصة النظرية القذرة، فأنت كذا ما قال داروين وما ذكره	يا ساكن البيت الزجاج هبلت لا ترم الحصونا، أرأيت قبلك عاريًا.. يبغي نزال الدارعين.

بالنظر في الجدول السابق ومقارنة ما جاء به من تعبيرات لدى ناجي وحافظ في ثلاث أغراض شعرية اتفقا فيها نلحظ التأثير القوي للمهنة على الاستعمال اللغوي ، فعندما نتفحص التعبيرات التي جاءت لديهما نجد ما يلي:

•في غرض الغزل والحب نرى مهنة الطب وما تمتاز به من كونها مهنة الرحمة ومجالها البحث عن كل شيء من شأنه إزالة الألم جعلت شاعرنا يتعامل مع الحب كما لو أنه الدواء والداء فالبعد فيه داء والقرب دواء وشفاء من الأسقام، على الجانب الآخر نرى حافظ وتأثره بالحياة العسكرية التي تمتاز بالصلابة والانضباط المشوب بالصرامة، فيلغى تقريبا كل ما له علاقة بمشاعر الحب والغزل، فمثل تلك الأمور ترف لا يليق بالعسكرية فنراه لم يعرض للغزل إلا في موضع واحد في ديوانه واستخدم فيه لفظ السيف في تشبيه اللحظ للمتغزل فيه.

•وفي غرض الرثاء نرى الطبيب ناجي يتخذ من الأسقام والآلام مادة للرثاء ومدح المرثي، فنراه يصف المجد بالداء، والذكاء مضني للصحة، وأيضًا يجعل تحمل الأسقام والآلام والجلد في مواجهتها والذي ربما حمل صاحبه على التفوق والنبوغ أساسًا يمدح به المرثي، بينما نرى حافظ يتخذ من البطولات الحربية، والتشبيه بالأسلحة مادة خصبة للرثاء كما سبق.

•وفي غرض الهجاء تبدو الثقافة المهنية لديهما فنرى ناجي يهجو بالنظريات العلمية التي تجعل من أصل الإنسان قردًا، في حين نرى حافظًا يتخذ من عدم الدراية بفنون القتال بابًا للهجاء فيهجو كثير العيب بالجاهل بفنون القتال حيث ينزل أرض المعركة عاريًا عن الأسلحة يبغي نزال المتلبسين بالأسلحة والدروع وذلك يدل على نقص فيه وجهل بفنون القتال.

مما سبق نستنتج أن للمهنة دورًا بارزًا في تحديد الاستعمال اللغوي للمتكلم عامة والشاعر خاصة، فالبيئة التي يعمل بها تكسبه كثير من الخصائص اللغوية التي تصبح فيما بعد مكونًا رئيسًا في بناء ثروته اللغوية.

وزيادة في تأكيد تلك الفرضية اللغوية القائم عليها ذلك البحث سأقوم بأخذ شاعرٍ ثالثٍ بمهنة ثالثة كمعيار لتلك الظاهرة لمقارنته بالشاعرين السابقين زيادة في الإيضاح وهو الشاعر اللغوي فاروق شوشة، ذلك الشاعر الذي اشتهر بمحبته للغة العربية والحرص على نشرها والدفاع عنها، ولاسيما من خلال تدريسها والعناية بآدابها كما سيأتي، ومن خلال النظر في ديوانه ومقارنته بالشاعرين محل الدراسة سنرى كيف أن كونه لغويًا أثر في تعبيراته اللغوية وجعلها خالية إلا القليل من الألفاظ والأساليب الطبية والعسكرية في أعماله الشعرية الكاملة.

المبحث الخامس

مقارنة بين شعر حافظ وناجي

وشعر شوشة في الاستعمال اللغوي

في هذا المبحث كما سبق وأشرت سنحاول تأكيد الفرضية التي قمنا في المباحث السابقة بإثباتها وهي أن اختلاف المستويات المهنية يؤدي لاختلاف الاستعمالات اللغوية، وذلك عن طريق مقابلة الألفاظ التي جاءت عند ناجي وحافظ التي اثبتنا من خلالها مدي تأثر كل منهما بمهنته في شعره، ورغبة في تأكيد ذلك سنقوم بعرض ألفاظهما الطبية والعسكرية على شاعر ثالث يمارس مهنة مختلفة وهو الشاعر فاروق شوشة الإعلامي اللغوي كما كان يطلق عليه في الصحف، فلقد عمل بمهنة التدريس للغة العربية عام ١٩٥٧م، بعد تخرجه في كلية دار العلوم ١٩٥٦م، وفي كلية التربية جامعة عين شمس ١٩٥٧م، وعمل أستاذًا للأدب العربي بالجامعة الأميركية بالقاهرة، ومن المناصب التي تولاها وخدم فيها اللغة العربية عضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة، رئيس لجنتي النصوص بالإذاعة والتليفزيون، وعضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، ذلك بالإضافة للبرامج الإذاعية التي كانت تهتم باللغة العربية وآدابها وفنونها، وأسهمت بشكل ملحوظ في نشر الثقافة اللغوية الصحيحة بين الناس ومن ذلك برنامجه الإذاعي: لغتنا الجميلة ، والتليفزيوني: أمسية ثقافية. (١)

(١) ينظر: فاروق شوشة، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، الناشر/ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، ط ٢٠٠٨م.

وسأقتصر هنا في بناء المقارنة بينهم على الألفاظ فقط باعتبارها الأساس للأساليب والعناوين أيضًا التي بنيت عليها المقارنات في المباحث السابقة بين ناجي وحافظ.

أولًا: حافظ وشوشة:

سنعقد هنا مقارنة بين الألفاظ العسكرية الواردة في ديواني حافظ وشوشة لنرى من خلالها مدى صحة تأثر الاستعمال اللغوي بالمستوى المهني لديهما:

الألفاظ	حافظ	شوشة	الألفاظ	حافظ	شوشة	الألفاظ	حافظ	شوشة	الألفاظ	حافظ	شوشة
أسطول	١٢	٥	أسنة	٢	٥	بنادق	٢	-	بيض	٣	_
جندي	٦	٥	جيش	١٩	٤	حرب	٢٢	٧	حسام	٥	١
خميس	١	_	درع	٥	_	ذوابل	١	_	رمح	٣	٢
سهم	٧	٨	سيف	٢٦	٨	شبا	٤	_	صارم	٦	_
ظبا	٥	_	غزى	٣	_	فيلق	٣	_	قنا	٤	_
قنابل	١	_	قواضب	٣	_	مدافع	٦	١	مران	١	_
مزراق	١	_	مسدس	١	_	معقل	١	_	مهند	٩	_
موقعة	١	_	نزال	٤	١	نصل	٣	٢	هيجاء	٢	_
الوغى	٦	_	يمان	١	_						

بالنظر في الجدول السابق نجد أن المهنة العسكرية أثرت في ألفاظ حافظ العسكري بصورة كبيرة، بينما لم يحدث ذلك عند شوشة الشاعر اللغوي.

حيث نرى تباينًا واضحًا حدث بين عدد الألفاظ العسكرية الواردة في ديوان حافظ، والواردة عند شوشة فبلغت عند حافظ أربع وثلاثين لفظة، كُررت تسع وسبعون ومائة مرة تقريبًا، أما عند شوشة فلم يذكر من تلك الألفاظ إلا اثنتي عشرة لفظة، كُررت تسع وأربعون مرة تقريبًا، حيث ترك منها إحدى وعشرين لفظة لم يذكرها في ديوانه.

ثانياً: ناجي وشوشة:

في هذه المقارنة سنجعل من ألفاظ ناجي الطبية مقياسًا يقاس عليه شعر شوشة رغبة في بيان ما إذا كانت تلك ذكرت لدى شوشة أم لا وإن ذكرت فما عدد مرات تكرارها لديه:

الألفاظ	ناجي	شوشة	الألفاظ	ناجي	شوشة	الألفاظ	ناجي	شوشة
ألم	٢٦	٨	أنين	١٧	٦	آه	٣٢	١٧
برأ	٥	–	دوي	١٥	٢	سقم	١٦	–
شفي	٢١	١	ضمد	٤	–	ضني	٩	١
علّ	٧	١	عيَ	٣	٢			

بالنظر في الجدول السابق نرى أن ما عددناه ألفاظًا طبية كثر تكراره لدى ناجي أكثر من شوشة، بل هناك ألفاظ لم تذكر في ديوان شوشة نهائيًا، وبذلك يتأكد لنا مدى تأثير المهنة على الاستعمال اللغوي لدى المتكلم، ولاسيما الشعراء.

فنجد أن عدد الألفاظ لدى ناجي إحدى عشرة لفظة كررت خمس وخمسين ومائة تقريبًا. في حين لم تزد لدى شوشة في مجملها على ثمان وثلاثين لفظة تقريبًا، فهناك ثلاث ألفاظ لم يرد ذكرها في ديوانه.

وبذلك يتأكد لنا تأثر الاستعمال اللغوي لدى المتكلم ولاسيما الشاعر بالمستوى المهني له فيصبغه بلون مهنته وألفاظها.

الخاتمة

الحمد لله، جاعل الاختلاف بين عباده سنة لتكاملهم، وتعارفهم ليتعاونوا فيما بينهم، فصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات من آية ١٣]

فبعد تلك الجولة بين أروقة علم اللغة الاجتماعي ومجالاته البحثية، وبعد تلك الإطلالة الفاحصة في دواوين ثلاثة شعراء برزوا في العصر الحديث نستطيع أن نؤكد الحقيقة الاجتماعية القائلة بأن اختلاف المستويات المهنية يتبعه اختلاف للاستعمالات اللغوية، ولقد ثبت ذلك من خلال ما سقناه من أمثلة ونماذج جئنا بها من ديواني ناجي وحافظ، ومعهما ديوان شوشة، وفيما يلي تلخيص لأهم النتائج التي توصلت لها الدراسة والتي من خلالها توصلنا لتأكيد فرضية البحث العامة السابق الإشارة إليها.

أولًا: **الألفاظ**:

- كثرة الألفاظ العسكرية لدى حافظ عنها لدى ناجي، والعكس حدث في الألفاظ الطبية فكثرت لدى ناجي عنها لدى حافظ، وذلك يثبت تأثير المهنة على الاستعمال اللغوي لدى صاحبها.

ثانياً: **التراكيب والعبارات اللغوية في الأغراض الشعرية المشتركة بينهما**:

- عند النظر في غرض الرثاء لديهما نرى أن حافظًا قد صبغته بيئته العسكرية بصبغة المقاتل الذي يتخذ من التفوق في الحرب والتمكن من استخدام السلاح والبراعة في جميع فنون القتال وغير ذلك من الأمور العسكرية مادة للرثاء ولمدح المرثي، وعلى الجانب الآخر نجد أن ناجي

بيئته الطبية جعلته يقيس الحياة بمقياس الأسقام والأوجاع فكان جل شعره يخرج من تلك الفلسفة ؛ فنراه في الرثاء يأخذ من تحمل الأسقام مادة لمدح المرثي، وكذا يجعلها سببًا في نبوغه أيضًا حتى وإن أودت بحياته كما سبق، فالمهنة أثرت في العبارات والتراكيب المستخدمة لديهما.

- عند النظر في غرض الغزل والحب نرى أن البيئة العسكرية بما فيها من قواعد صارمة ومعاملات قاسية جافة جعلت غرض الغزل يتلاشى عند حافظ فلا يوجد إلا في قصيدة واحدة ، ونراه استعمل فيها الألفاظ العسكرية عندما شبه العيون بالسيوف. بينما نجد ناجي تأثر في أساليبه بالبيئة الطبية، التي تخلق في المشتغلين بها شيئًا من الرأفة والرحمة لكونها تعج بالأوجاع والأسقام، وتلك الأمور تورث الضعف في المصابين بها وذلك يستلزم التعامل معهم من قبل الأطباء بالرأفة والرحمة، وذلك يبدو ظاهرًا في حديثه عن الحب والغزل، فهو يعتبر الحب كالسقم يحتاج لرأفة المحبوب حتى يستشفي من ألمه المحب. فبذلك نرى البيئة الطبية أورثت اللين في قلوب المحبين، وذلك يفسر كثرت هذا الغرض في ديوانه، مقارنة بالضابط حافظ.

- عند النظر في غرض الهجاء لديهما نجد حافظ اتخذ من التجرد من السلاح وعدم الاستعداد للحرب كما يجب اساسًا يبني عليه الهجاء في شعره عندما قال: أرأيت عاريًا يبغي نزال الدارعين، بينما نجد أن البيئة الطبية بما تلزم به أصحابها من ضرورة الإلمام بالنظريات الطبية وغيرها من المعرف التي تتيح لهم معرفة حقيقة الأمراض والتعامل معها فهم لا يتحدثون إلا بما يتفق وتلك النظريات والمعارف نرى تلك الثقافة انعكست على ناجي في

هجائه، فلقد استخدم نظرية (دارون) القائلة بأن أصل الإنسان قـرد ليهجـو بها.

- ورغبة في تأكيد فرضية أن المهنة والثقافة تـؤثر فـي الاسـتعمال اللغوي أضفنا شاعرًا ثالثًا تختلف مهنته عنهما حتى نرى مدى كثرة أو قلة الألفاظ التي اعتمدناها لدى كل منهما ، ولقد وضح جليًا في المقارنـة بـين أشعار ناجي وحافظ وشوشة، تأثر اللغة بالمهنة: فـالأول ذخـر بالألفـاظ الطبية، والثاني بالعسكرية أما الثالث فيكاد يخلو شعره من مثل هذا الألفاظ.

وأخيرًا فالحمد رب العالمين ، والصلاة والسلام على صاحب اللسان المبين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبع سنته ليوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الأعمال الشعرية / فاروق شوشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة. ط ٢٠٠٨م.

٢. البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب، الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١٤٢٣هـ

٣. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدى، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٥. تطور الشعر الحديث والمعاصر، د/ عمر القاق، د/ محمد نجيب التلاوي، د/ مراد عبد الرحمن مبروك، دار الأوزاعي، ط١، ١٤١٧ه ـ ١٩٩٦م .

٦. الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب الحديث، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٧. حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، (ص٦) ، د/ السعيد محمود عبد الله، ط ٢٠٠٠م.

٨. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

٩. دراسات في اللغة، د/ إبراهيم السامرائي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١٩٦١م.

١٠. ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت، ط ١٩٨٠م.

١١. ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه/ أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الابياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م

١٢. رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣. علم اللغة الاجتماعي (مدخل) ، د/ كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

١٤. علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د/ هادي نهر، الجامعة المستنصرية، ط١، ١٤٠٨ه ـ ١٩٨٨م.

١٥. علم اللغة الاجتماعي، د/ هدسون، ترجمة/ محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م.

١٦. علم اللغة العربية، د/محمود فهمي حجازي، دار غريب.

١٧. فصول في علم اللغة العام، د/عمرو خاطر عبد الغني وهدان، مؤسسة حورس الدولية، الأسكندرية، ط ٢٠١٠م.

١٨. في علم اللغة، د/ عبد العزيز أحمد علام.

١٩. في علم اللغة، د/ غازي مختار طليمات، دار طلاس، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢٠. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٨ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٢١. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح/ د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.

٢٢. اللسانيات الاجتماعية عند العرب، د/ هادي نهر لعيبي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ١٤٣٠ه ـ ٢٠٠٩م

٢٣. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، ط٥ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٤. اللغة في المجتمع، م.م. لويس، ترجمة /د/ تمام حسان، مراجعة د/ إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١٩٥٨م.

٢٥. اللغة والمجتمع رأي ومنهج، د/ محمود السعران ، الإسكندرية ، ط٢، ١٩٦٣م.

٢٦. اللغة والمجتمع، د/ علي عبد الواحد وافي، مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٣ه ـ ١٩٨٣م.

٢٧. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٢٨. مدخل إلى علم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي،ص٣٠، ط٤، ١٤٢٤م ـ ٢٠٠٤م.

٢٩. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية – بيروت.

٣١. معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، الناشر/ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للأبداع الشعري، ط ٢٠٠٨م.

٣٢. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، تح/مجمع اللغة العربية، دار النشر : دار الدعوة.

٣٣. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تح/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ.

٣٤. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

٣٥. مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١٩٩٠م.

البحوث العلمية والدوريات:

٣٦. الاجتماعيات في شعر حافظ إبراهيم، بحث لـ / طلعت صبح السيد، إشراف/د/ أحمد الشرياصي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	**ملخص**	٣١٢٧
٢	**المقدمة**	٣١٢٩
٣	**التمهيد:** علم اللغة الاجتماعي ــ المفهوم والنشأة والمجالات ــ نبذة مختصرة	٣١٣٣
٤	**المبحث الأول:** المستويات المهنية وأثرها في الاستعمال اللغوي	٣١٤٣
٥	**المبحث الثاني:** حافظ وأثر مهنة العسكرية في استعمالاته اللغوية.	٣١٥٢
٦	**المبحث الثالث:** ناجي وأثر مهنة الطب في استعمالاته اللغوية.	٣١٦٩
٧	**المبحث الرابع:** مقارنة بين عسكرية حافظ وطبية ناجي في الاستعمال اللغوي.	٣١٩٢
٨	**المبحث الخامس:** مقارنة بين شعر حافظ وناجي وشعر شوشة في الاستعمال اللغوي.	٣١٩٨
٩	**الخاتمة**	٣٢٠١
١٠	**قائمة المصادر و المراجع**:	٣٢٠٤
١١	**فهرس الموضوعات**	٣٢٠٨